مجلة

المنار

المجلد الخامس

الجزء السابع عشر والثامن عشر

إهداء من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تابعوا ...

الجديد و الحصري
NEW & EXCLUSIVE

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

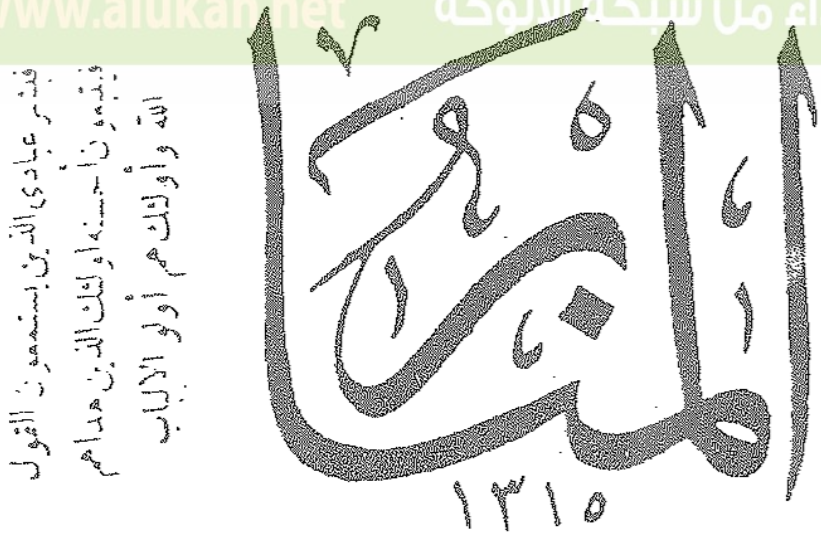

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء)

(مصر في غرة رمضان سنة ١٣٢٠ — ١ ديسمبر (تشرين ١٧) سنة ١٩٠٢)

أبصروه ولا يصلونه وهم مؤمنونه

اذا كان الله تعالى قد منحنا الدين ليهدينا به الى سعادة الدارين ومنافع الحياتين فلا غرو ان يكون لكل عبادة فيه وجهان احدهما روحاني ينظر الى توثيق عقدة الايمان وتهذيب الاخلاق والآخر اجتماعي دنيوي ينظر في إحكام عرى الارتباط بين المؤمنين العابدين لتأكد أخوتهم، وتبرم جامعتهم، وتحقق وحدتهم، وقد اهتدى علماء الاجتماع في هذه العصور الى وجوب توحيد عادات الامة لان الرفاق كلما كثر وتمدد ما به يكون اشتدت الاواخي وأمنت التراخي حتى يكون مجموع الافراد كالشخص الواحد. فتراهم قد اتفقوا في انواع العادات فهم يلبسون زياً واحداً ويأكلون في وقت واحد ويتنزهون في وقت واحد كما يتعلمون على طريقة واحدة ويتربون على مثال واحد. وبهذا صاروا كأنهم اهل بيت واحد يتعاطفون ويتضامنون بل صاروا في مجموعهم كالجسد الواحد كما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ورد الحديث في وصف المؤمنين

الصوم والصلاة عبادتان علّمتا المسلمين الاولين مراقبة الله تعالى والتوجه اليه وطلب مرضاته فصلحت نفوسهم وسمت هممهم وتهذبت أخلاقهم وعلمتا الاجتماع في اوقات معينة والاكل في اوقات متفقة فأرشدتاهم الى النظام وطرق الوحدة فصلحت احوالهم باطناً وظاهراً فكانوا كما قال الله تعالى في خطابهم: « إن هذه أمتكم امة واحدةً وانا ربكم فاعبدون » أو كالبنيان يشد بعضه بعضاً كما ورد في الحديث

مضت سنة الاولين من أهل الملل ان الدين يضعف فيهم ويضمحل على هذا النحو — تزول حقيقته المعنوية اولاثم تزول بعدها صورته الظاهرة بالتدريج . الجسد الحيّ بقاؤه ببقاء روحه فاذا أزهقت الروح منه أسرع اليه الفساد ثم التلاشي والاضمحلال . وإنما تزهق روح الدين بأمراض تعرض لها بعد فقد الاطباء الروحانيين او إهمال خواص الامة لهم وتركهم طبهم لارواحهم عند مرضها . والسبب في رغبة هؤلاء عن مداواة نفوسهم هو أن الامراض التي تلمّ بهم مستلذة بل هي لا تعدو الإفراط في اللذة مع الجهل بالعاقبة وما وظيفة الدين الا هداية الانسان الى موقف الاعتدال في استعمال قواه الفكرية والنفسية لتبقى فطرته سليمة معتدلة

الصلاة افضل من الصيام لان سلطانها على الروح اعلى ، وجذبها إياه الى عالم القدس اقوى ، ولان تأثيرها في جمع القلوب والتأليف بين الافراد ابلغ ، وإشعارها نفوس الطبقات المختلفة معنى المساواة أشد ،

الصيام يذكّر النفس بالسلطان الالهي عند ما تعرض لها الطيبات في النهار فترى انها ممنوعة منها بأمر الله تعالى شأنه وعند الفطر والسحور

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اذا تذكرت ان تغيير مواقيت الاكل انما كان لتحقيق هذه العبادة التي فرضها الباري جل جلاله على عباده ترويضاً لأرواحهم وجسومهم وتعويداً لهم على حكم قوامهم النفسية كيلا تفرط عليهم وتفانى ليستعدوا بذلك كله لتقواه جل وعلا . واما الصلاة فكل قول من اقوالها وكل عمل من اعمالها فهو ينفخ هذا الروح الحي فيمن يقيم الصلاة لا في كل من يصلي لان فصلا بعيداً بين إقامة الشيء على وجهه وبين الاتيان بصورته كالفصل بين خلق الانسان وبين رسم صورته على لوح او جدار

اذا قال مقيم الصلاة : الله اكبر : أعطته هذه الكلمة من تجريد التفضيل في التكبير أن الله تعالى اكبر من كل ما يوجد ويتصور فيطمئن قلبه بالتنزيه وتستولي عليه هيبة الكبرياء والعظمة . ثم اذا قال : وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض : (وهو مستحضر أنه يعبر عن توجه قلبه ، الى حضرة معرفة ربه) فان نفسه تسمو عن الالتفات الى الدنايا ، وتسمو عن الاشتغال بالخسائس ، وحسبك من الصلاة ما تعطيه هاتان الكلمتان فكيف بك اذا تدبرت سائر الاذكار والتلاوة وفقهت سر ذلك القيام والقعود ، والركوع والسجود ،

كأني ببعض المفكرين الذين يحكمون على الدين وتأثيره بما يجدون في أنفسهم وما يعرفون من حال معاشريهم والعائشين معهم يقولون : إن هذه الاماني مخترعة ، وأسرار مبتدعة ، وخواطر سانحة ، وموازين غير راجحة ، . وعذرهم في ذلك الحرمان ، وعدم تدبر سيرة الذين سبقونا بالايمان ، ومن ذاق عرف ، ومن عرف وصف ، ولست واقفاً هنا موقف المناظر ، ولم أقصد بهذا القول إقناع المكابر ، وقد سبق للمنار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القول في بيان فوائد الصوم النفسيَّة والبدنية والاجتماعية (فليراجع في المجلدين الثاني والرابع) وكذلك القول في فوائد الصلاة . وانما نريد الآن أن نذكر امراً غريباً في التصور ولكنه واقع شائع وهو ان كثيراً من الناس يصومون رمضان ولا يصلون الا في رمضان اولا يصلون مطلقاً.

الصوم من آيات الايمان فلا يجامع الكفر والجحود ولكن كيف يكون المرء مؤمناً بدين ثم هو يستبيح ترك افضل عباداته وآكد فرائضه وأعظم شعائره ، وما هي علة هذا الترك المطلق ، والإهمال المستغرق ، اذا كان الايمان هو الذي بعث ذلك الصائم على الصوم فلماذا لم يدعه دعاً الى الصلاة التي تلي الايمان في المرتبة ؟ أيتصوران يكون لعلة واحدة معلولات فتوجد ويتخلف عنها اول تلك المعلولات وأولاها ، ثم يوجد أضعفها وأقصاها ؟ هذا موطن من مواطن العجب ، ولا بد من بيان السبب ،

قد يقال : اذا كان ترك الصلاة لا يجامع الايمان وترك الصيام لا يجامع الكفر فلا بد ان يكون من يصوم ولا يصلي في مرتبة بين المؤمن الصادق ، والكافر المارق ، وهو ما كانوا يدعونه المنافق ، فهو مرتاب يصوم لاحتمال صحة الدين ، ولا يصلي لفقد اليقين ، ويمكن ان يقال : ان صوم مثل هذا ليس من ثمرات الايمان ، وانما هو مجاراة للاهل والجيران ، فهو عادة لا عبادة . ولو تركه المعاشرون والاقران ، لما بعث عليه القرآن ، ولذلك ترى الذين لا يبالون بالعادات لقوة عزائمهم في العمل بما يعتقدون قد تركوا الصوم فهم يحاربون الدين جهراً ولا يحترمون اهله ولا يجاملونهم من حيث هم به مستمسكون . ويصح ان يقال : ان من تاركي الصلاة المارق ، ومنهم المنافق ، ومنهم من يتركها لمرض الجهل والكسل لا لمرض

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الارتياب او الجحود . ولذلك يصوم هذا صوماً حقيقياً فيه تقوى الله تعالى في امور كثيرة فهو يظمأ ويصدى ولا يشرب في خلوته لعلمه بأن الله تعالى يراه ولا يرضى له ان يكون ضعيف النفس مغلوباً لشهوة الماء يعصي الله لاجلها . فان لم يلاحظ مثل هذا بالتفصيل فلا أقل من الاجمال

اما الجهل الذي يساعد الكسل على ترك الصلاة فهو ذو شعب كثيرة يوجد بعضها عند ابناء العصر الجديد وبعضها عند ابناء العصر العتيق . يقول أبناء العصر الجديد : ان الله تعالى لا يعذب الناس اذا قصروا في عبادته لان الدين لا يصح أن يكون عقوبة للبشر وانما فرضت الصلاة لتعين على تهذيب النفس ونحن قد تهذبت نفوسنا فلا نرضى لانفسنا أخلاق هؤلاء المصلين الذين فشا فيهم الكذب والغش والزور والطمع والدناءة الخ :

قول اشتبه حقه بباطله ومسلك الجهل فيه دقيق . ولنا ان نقول لهم صدقتم في قولكم ان الدين لا يصح ان يكون عقوبة بل هو رحمة من الله تعالى قال تعالى لنبيه « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » وقال في خطاب المكلفين « ولو شاء الله لأعنتكم » ولكنه لم يشأ فله الحمد والشكر . وقال جل ثناؤه « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وفي معناه قوله عز وجل « وما جعل عليكم في الدين من حرج » ولكن العقوبة على ترك الصلاة ليست من الحرج وانما هي من الرحمة فان الصلاة منفعة وترك المنفعة ضار لانه وقوع في الضد وهي واقعة في الدنيا ومعقولة فمن الجهل الارتياب فيها . ألا ينظر هؤلاء القائلون في صنفهم والذين تعلموا وتربوا مثلهم كيف تفتك فيهم الفواحش والمنكرات فتذهب بمالهم وبصحتهم وتكبل بلادهم بالسلاسل والأغلال

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وتسامها إلى الأجانب . وإذا وجد فيهم أفراد ساعدهم الاستعداد الفطري وما يسمونه (الظروف) والوراثة الطبيعية لسلفهم المصلين على تهذيب نفوسهم فهل استغنوا بهذا التهذيب الذي امتازوا به على العدد الكثير من أمتهم المريضة عن تكميل نفوسهم بمناجاة الله تعالى . أليس لكل واحد منهم أمراض نفسية لو أقام الصلاة لوجد فيها شفاءها . منهم الهلوع الذي يجزع لكل شر يصيبه حتى كأنه أمرأة ضعيفة أو طفل صغير والذي اذا أصابه الخير امسكه عن إعانة الضعيف، وإغاثة الملهوف ، بل الذي لا يخرج منه الحق الثابت عليه الا نكداً . وإذا فرضنا أن جهله بحقيقة نفسه وحقيقة الصلاة زين له عدم حاجته اليها ولو لشكر الله تعالى وحفظ شعار الدين الذي ينتمي اليه فهل يُزين له أيضاً أن أهله من زوجة وبنين وبنات في غنىً عن هذه الصلاة؟ وإذا لم يكونوا في غنىً عنها فهل يرى أن إقامتهم إياها من الأمور السهلة إذا كان هو لا يصلي ؟؟ أما صلاة فاسدي الأخلاق الذين يتمثل بهم هؤلاء فهي شبيهة بصيامهم أي إنها محاكاة وتمثيل لهيأة الصلاة الظاهرة .

وجملة القول في جواب هؤلاء ان اعتذارهم بعدم العقوبة على ترك الصلاة غير سديد وانهم لم يفهموا معنى الصلاة فيفهموا معنى العقوبة على تركها . ولو فقهوا تأثيرها في النهي عن الفحشاء والمنكر لفقهوا معنى كونها رحمة تزكي النفس فتفلح في الدنيا والآخرة . وكون تركها نقمة تُدَسّي النفس وتسهل لها سبل الفواحش والمنكرات فتسلكها فتخسر في الدنيا والآخرة . لو تأمل المتأمل المؤمن بالله معناها وما وصفها به الكتاب العزيز لفقه ذلك . ولو علم انها الآية الكبرى في انقلاب أحوال مسلمي الصدر الأول وتبدل أخلاقهم وسجاياهم لفقه ذلك . ولو كان عندنا اليوم عدد من مقيمي الصلاة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لاستغنينا عن هذا وذاك في تعليم الجاهل، وتنبيه الغافل، واقناع المجادل،

هذا ما يقول لنا أبناء العصر الجديد وما نقول لهم الآن بالايجاز، وان لنا لعودة نفصل فيها القول تفصيلا ان شاء الله، وأما ابناء العصر العتيق فان لهم من الضلال في فهم الشفاعات والمكفرات، والانتساب الى اصحاب الاضرحة والمقامات، ما يصرفهم عن اقامة الصلاة، ويغلُّ أيديهم عن أداء الزكاة، فكيف إذا أضافوا إلى ذلك الغرورَ بالله والتشدق بذكر الرحمة والمغفرة. وقد كشفنا من قبل جميع هذه الشبهات وأن أكبر آية على ضلالهم في فهمها سوء تأثير هذا الفهم فيهم حتى انتهى بهدم أركان الاسلام وترك شعائره فكاد ينطمس مبناه، بعد ما جهل معناه، ولكن خطباء الفتنة وعلماء السوء هم الذين يروّجون هذه الاضاليل فهم قادة المقلدين، وعونهم على إضاعة الدنيا والدين، وكأنك بغربانهم تنعق على اعواد المنابر بهذه المكفرات ومنها المكذوب على الله ورسوله كقولهم: إن الله يعتق في كل ليلة من رمضان ستمئة الف عتيق من النار فاذا كان آخر ليلة منه اعتق بقدر ما مضى: وامثال ذلك. وفي أقوالهم ما تصح روايته ولكن الفساد في جهل معناه. لذلك نرى اكثر العامة يصومون ولا يصلون ولا يزكّون، ومنهم الذين لا يحجّون ولا يحرمون،

الصوم اسهل على النفس من المحافظة على الصلاة ومن إيتاء الزكاة. فهو الرسم الباقي عند اكثر المسلمين فاذا درس (والعياذ بالله تعالى) كان دروسه خطراً كبيراً على الرابطة الاسلامية. لهذا نرى ان الذين يجاهرون بالإفطار في رمضان من المسلمين الجغرافيين أشد فتكا بالاسلام والمسلمين من كل مخالف يطعن بعقائدهم او يستأثر بسياستهم. ومن العجب ان يوجد فيهم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من يتشدق بكلمة الوطن او الامة. واعجب العجب ان بعضهم يذكر الاسلام ويظهر انه يتمنى عزته. ويحاول خدمته،

اذا كان تارك الصلاة إنما يتركها تثاقلا من مقدماتها وشروطها وتكرارها فانا أدله على ما يذهب بثقل هذه الامور كلها ويسهل عليه ما عسره اختلاف الفقهاء. وإنما يكون ذلك بالرجوع الى اصل الدين، والعمل بما اتفق عليه جميع المسلمين، فأما الطهارة فالغرض منها النظافة وهي مما يرغب فيه كل كريم النفس ويتحراه بحسب استطاعته واما كون التنزه عن القليل من النجاسة والكثير شرطاً لصحة الصلاة فما اختلف فيه السلف الصالح والائمة المجتهدون فليتحر الانسان التنزه احتياطاً الا اذا عسر عليه ولماذا يحتاط لقول بعض الفقهاء حتى يترك الصلاة احتياطاً ولا يعمل بقول من لا يرى الشرطية ويقيم ركن الدين الركين احتياطاً. بل ان الذين اشترطوا طهارة الثوب والبدن للصلاة قالوا ان المشقة تجلب التيسير ولا حرج في الدين فمن صعب عليه الاحتراز من شيء فله رخصة فيه

وأما الوضوء فهو اسهل شيء اذا روعيت السنة ونبذت الوسوسة فقد ورد ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم توضأ ولم يقع شيء من ماء وضوئه على الارض فيسهل على العارف بالسنة ان يتوضأ من كوب ماء (كوبايه) وهو واقف او قاعد لا سيما اذا كان يمسح على ما يستر رجله ولو جوربا من قطن او صوف فان ذلك جائز عند كثير من الصحابة والتابعين وعليه الامام احمد

واما تعدد الصلاة فغير لصاحب الشغل الكثير من الترك ان يأخذ بالحديث الذي رواه مسلم في صحيحه والشافعي في سننه وغيرهما وهو ان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النبي صلى بالصحابة الظهر والعصر في وقت واحد والمغرب والعشاء في وقت واحد « من غير مرض ولا سفر » وقد اوّل اكثر الفقهاء الحديث فحمله الشافعية على وقت المطر والمالكية على تأخير الاولى والتعجيل بالثانية ولكن في بعض رواياته عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تعليل ذلك بقوله « لئلا يحرج امته » فدل هذا على ان هذا الجمع رخصة والعزيمة في اداء الصلاة في وقتها أفضل ولكن الرخصة اولى من الترك كما هو واقع . كل واحد من هؤلاء المترفين الذين يتثاقلون عن اداء الصلاة يغسل أطرافه عند القيام من النوم فاذا جعل ذلك الغسل موافقاً للوضوء الشرعي وصلى ركعتين شكرا لله تعالى وحفظاً لافضل شعار يربطه بأمته وتعليما لمن يعيش معهم للدين بالعمل او حملا لهم على التأسي به فاي ثقل عليه؟ ثم اذا فعل مثل ذلك في وقت الظهيرة إذ يسكن الى الراحة او وقت الاصيل إذا شغل وقت الظهيرة فاي تعب في ذلك وهو عمل لا يستغرق ربع ساعة؟ وكذلك وقت العشيّ عند ما يستريح من عمل النهار

اختم القول بتذكير أبناء العصر الجديد بمسألة هم أعرف بتفصيلها من سواهم . وهي أن الأمم الحية تحافظ على عاداتها القومية وشعائرها الملية وان كانت تعتقد انها وضعية فلا يرضى أهل الرأي منهم بترك شيء من ذلك الا اذا تبين لهم انه ضارٌّ ضرراً كبيراً لا يشفع فيه حفظ الرابطة العامة بالثبات عليه ثم إنهم يتروّون في ذلك التروي الواجب . فما بالكم وانتم تقلدونهم في الزي والحركة في الطريق (لا في العمل) وفي الماعون والاثاث لا تقلدونهم في الثبات على شعائركم والمحافظة على روابط جامعتكم ؟ تعلمون انهم ما تركوا شيئاً الا بعد ان استبدلوا به ما رأوه خيراً منه فماذا استبدلتم بهذه الشعائر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاسلامية النافعة ، والروابط الملية الجامعة ، التي تتركونها بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير : ألا إنكم تستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير تحاولون عرى جامعتكم التي فيها عزكم وشرفكم في الدنيا وسعادتكم في الآخرة وأنتم لاتشعرون ، فتوبوا الى الله لعلكم تفلحون ،

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده في الازهر)

يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ . وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ .

تقدم تذكير بني اسرائيل بالنعمة في آية قبل هذه الآية مقرونا بالامر بالوفاء بعهد الله وبالوعد بالجزاء عليه ثم الامر بالخشية منه وحده وتلاها آيات أمرهم فيها بالايمان بالقرآن ونهاهم عن لبس الحق بالباطل وكتمانه . ثم امرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ثم وبخهم على نسيان أنفسهم من البر مع امر الناس به وتلاوة الكتاب الداعي اليه ودلهم على الطريق الذي يذهب بهذا النسيان وهو الصبر والصلاة التي فقدوها بفقد روحها وهو الاخلاص والخشوع . وبعد هذا عاد الى التذكير بالنعمة بنوع من التفصيل فان النعمة في الآية الاولى مجملة والإجمال ينبه الفكر الى التذكر في الجملة فاذا تلاه التفصيل والبيان كان على استمداد تام لكمال الفهم فيكون التذكر أتم والتأثر أقوى والشكر على النعمة أرجى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ كيف يكون المستقبل للمسلمين ﴾

قرأت في (المنار) الزاهر مقال سماحة السيد البكري فايقظ في نفسي آمالا كباراً ، وهاج من قلبي مُرامي بعاداً ، ورأيته يتفق معي في الغاية؛ ويلاقي قلمه قلمي في النهاية ، الا انه سار اليها من طرق المعارف التشريحية، وانتحى اليها وجهة علم الظواهر الجوية ، وناط ذلك المستقبل بالفواعل الطبيعية ، والاحوال الوسطية ، من كثرة السكان ، وخصوبة المكان ، وعدم امكان الانسان المعيشة في كل مكان ، وهي قضايا يتناولها النقد ، ويمكن فيها الاخذ والرد ، والإقبال والصد ، إن رضيها (جوستاف لوبون) رفضها (لينيه) و (كاترفاج)و (داروين)و (وروسل ولاس) و(هكسلي) و (لامارك)و (كوفيه)و (بوفون)وغيرهم من إخوانه الفسيولوجيين . على أن تعليق حياة الاسلام على مؤثرات الوسط وعوامل المكان لا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يناسب مجده وعلو شأنه، وأهميته أكبر من أن تدفع الكاتب إلى تحري افكار الافراد لتسكين الخواطر على نجاة بلدانه، وسلامة اوطانه، فان كان الاسلام له المستقبل الباهر، والآتي الزاهر، فليس ذلك الا لكونه الحق الصميم، والنور الصريح، والكلمة العليا؛ والحجة البيضاء، أنشودة الانسان، وضالة العرفان؛ ونظام العلم والدين؛ وسلك الفلسفة الحسية واليقين، ان كان ينشره الصوفية اليوم بين الشعوب الشرقية؛ المنحطة في درجات المدنية؛ والعلوم الكونية؛ فسينشره غداً علماء الفلسفة الحسية، ويأتي فيخ المعارف الطبيعية. ليس لكونه كما اعتدنا ان نقول دينا جمع بين المصالح الروحية والجسدية ويربط بين الأمور الدنيوية والاخروية فقط هذه بعض مزايا الاسلام ونابع بسيط لتساليم نسردها سرداً لبعض العقول البسيطة التي لا تدرك غيرها، ولا تتمسك بالدين الا من أجلها؛ أما غداً وليس ببعيد يوم تجيء دولة الروح ويخرج الانسان من قهر المادة العمياء وسلطة الطين الاصم وينتهي دور الزخارف الحيوانية؛ وتزول سلطنة البطن والاميال البهيمية؛ وينقلب شأن الانسان من حال مادي الى حال روحاني، كما انقلب من حال فطري الى حال فكري عقلي؛ فتشرق الروح في سماء الانسان وتزعج الانسان الى أداء مطالبها؛ وتصيح به لأن يعرج بها الى محتدها؛ ويصعد معها الى أوجها؛ كما كانت تزعجه المادة الى القيام برغائبها؛ وتميل به الى عالمها؛ وتطالبه بالركون الى طينها؛ ذلك اليوم تطلب الروح بابا لعروجها؛ وترتاد طريقا لصعودها؛ تلتفت الى جثمانها فتراه عبئا ثقيلا؛ ومانعا كثيفا؛ وأنى له اختراق طبقات اللطافة الملكوتية بها؛ وكيف له السبح في العوالم النورانية معها؛ هنالك يكون التنازع بين الروح والجسد لا كما هو الآن تنازع بين مطالب غذائية

www.alukah.net شبكة الألوكة

وزخارف مادية؛ وأغذية دهنية وشحمية؛ وألبسة قطنية او حريرية، بل تنازع فى كيفية اعتمادهما معاً على السبح فى سبحات النور الاقدس، والجري بدا بيد فى باحات الكمال الاقدم.

هنالك سيدور الانسان على نفسه دورة اخرى على محور لا يتخيله الآن الا كبار الافئدة كبار العقول. هنالك سيكون الاسلام قائد تلك الحركة وسلطان تلك الدولة والداعي الى الكمال بلسان العدالة المطلقة والمؤاسي بمراهمه الشافية القلوب اليائسة. هنالك سيحوم الناس حول الاسلام كما يحول الفراش حول النور يطلبون نجاة ارواحهم واجسادهم معاً لأرواحهم فقط. هذه حقائق لا خيالات الا ان تجليها للاذهان يحتاج الى كلام كثير بل سفر كبير

فمستقبل الاسلام فيما أعلم وأرى من هذا الباب دون غيره وهو اليق بعلو شأنه وأنسب لرفعة مكانه واولى به دينا إلهيا؛ ووحيا علويا؛ ولكن متى نصل اليه؛ وأي نوع من أنواع الوسائل نعول عليه؛ هذه جهة الخلاف بيني وبين سماحة السيد. يرى أن أنجع الوسائل لذلك فتح المدارس وترتيبها؛ وترجمة الكتب العلمية ونشرها؛ ومشاطرة الاجانب فى لغاتهم والتعمق فيها؛ ويرجو لذلك أن تعقد جمعيات؛ وتشكل هيئات، وتنضم أصوات وتتحد وجهات، وتتفانى هم أيّة؛ وتتكاتف عزائم إسلامية، وتبذل أنفس عزيزة وأرواح؛ وتباع فى سبيل الوحدة بيع السماح؛ وكلها مطالب سامية؛ ورغائب عالية؛ ولكن هل تتحقق؛

لنجل فى إمكانها نظرا؛ ونعمل فى احتمالها فكرا؛ فإن لاح لنا برق امل ضممنا صوتنا الى صوته؛ والا أبدينا فيها رأينا؛ وعززناه باسلوبنا؛

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حكم السيد بان لا وطن للاسلام ولا جنسية ، وأن رابطتنا الوحيدة هي جامعة العقيدة وآصرة الايمان ووشيجة اليقين . فلينظر هل تلك الرابطة اليوم صالحة لان تضم اجزاءنا وتلم شعثنا وتوجه عواطفنا الى الى تيار واحد لنحقق بذلك آمالاً عظاماً ؛ ونرأب بها من جسم هيأتنا صدوعاً جساماً ؛ يضرب لنا السيد مثلا بالجمعيات الاجنبية التي تألفت للوحدة الايطالية ؛ والجامعة السلافية ، والجنسية السكسونية ، وعاج من ذلك على ذكر الثورات الارمنية والمقدونية والكريدية ، ثم قال انها « تمثل أعمال الجبابرة في الخلاص من حضيض الاسر ، إلى أوج النصر ، والامة الاسلامية التي ملأت المشرقين والمغربين تتنفض انتفاض الطائر في شباك الصائد . ولا تمثل للنجاة عملا . وكيف ترجو الوصول الى الغاية وهي لا تنقل اليه قدما ، ولا تحرك شفة ولا قلما ، ومن طلب شيئاً وجده ، ومن تركه فقده » ثم أردف ذلك بقوله : « ولا يعتذر الجبان المنقود القلب بان عقد هذه الجمعيات مما يتعذر حصوله في البلاد الاسلامية الآن اذ اي جمعية انشئت قبل هذه فلم تقابل بالكفران ، وتحط بالنيران ، لكنها العزيمة التي ترى ان الموت في حياة الأمة خير من الحياة في موتها وأن لا محيص من الصدر أو القبر »

نقول ولسنا بجبناء ولا مفقودي الناب ولا يائسين ولا مفتونين : لقد سلك السيد في مقاله مسلك الكاتب الحماسي — ولكنه لم يسر سير العالم ولا الفيلسوف العراني . ولو كان قبل ان كتب مقالته تدبر في ألوف المقالات التي كتبت قبل مقالته بعشرين سنة وكان فيها من ضروب الحض والحث والتحميس ما لا يمكن المزيد عليه ومع ذلك لم تنتج أثرا ؛ ولم تحقق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لكاتبها ولا لخلافه أملا ، لكان رجع إلى نفسه وعلم أن المانع للامة من سماع تلك الصيحات ، والإصاخة لتلك الهيعات ، أمر جلل وخطب كبير . ولتراءت له أدواء يجب فحصها وعلل لا ينجع دواء بوجودها .

قررت العلوم النفسية ، وحكمت المشاهدات الوجودية ، أن الانسان لا يعمل عملا بل ولا يتحرك حركة الا وهو معتقد صلاحية ما يعمله او يتحرك من أجله ومتيقن من الوصول الى غايته فهل لدى فضلائنا الذين يطلب منهم تأليف تلك الجمعيات من العقيدة الراسخة واليقين الثابت ونحن في القرن العشرين ما يحملهم على تشكيل الجمعيات وبذل نفوسهم ونفائسهم دفاعا عن حقيقتهم وقراعا دون حريمها ؟

أنا أول من يقول بأن المستقبل للاسلام وكتبي ومؤلفاتي تشهد لي بذلك ولكنني لا أحب أن أجعل للخيال سلطانا على قلمي ، ولا للحماسة التي تنطفئ بمجرد الكتابة نفوذا على إحساسي ؛ بل أعلم أني عائش في عصر الفلسفة الحسية . والمدنية المادية . والمعارف الطبيعية . وصرفت زمنا ليس بالصغير في فحص وسطي الذي أعيش فيه وامتي التي أنا بين ظهرانيها ورأيت بالحس أننا إن لم نسع لمداواة علتنا من اصولها تهنا في تطبيبها وضللنا في علاجها وذهبت كل صيحاتنا أدراج الرياح كما ذهبت صيحات من كان قبلنا . أما داؤنا الوحيد اليوم وسبب عدم صلاحية خاصتنا لاداء وظيفتها الصحيحة فوهن العقيدة وضعف الايمان وما دامت على هذه الصفة فلا يرجى منها اجتماع على أمر البتة .

مجرد اعتقاد ان الاسلام دين يدعو الى الفضائل ويحض على الاخذ بالماديات والمعنويات معاً وانه آخذ في الانتشار بين القبائل الشرقية ، او انه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مهيب الجانب في بعض البلاد الاجنبية ، كما اعتاد كثير من خاصتنا التفكه به في المجالس اظهاراً لغيرتهم على الاسلام وتحمساً لكثرة براهينه لا يفيدهم في اليقين شيأ لان كلهم تقريباً ممن تعلموا اللغات الاجنبية ، ودرسوا العلوم الطبيعية ، والمعارف التشريعية ، ووقفوا على تماليم (داروين) و (جوستاف لوبون) الذي استشهد به السيد وعرفوا منهما ومن أمثالهما ان اصل الانسان قرد وانه لا آدم ولا حواء ولا كتاب سماويا ولا روح ولا نفس ولا حشر ولا نشر ومن يرد أن نعطيه صورة موجزة من فلسفة هذه المدنية التي يقرأها خاصتنا من عرفة اللغات الاجنبية ويعتقدون حقيتها فاليه غير مضنون عليه

يقولون يامعشر المتدينين انكم لو جردتم نفوسكم عن الهوى ، ووجهتم وجوهكم شطر الهدى ، لرأيتم أنه ليس دينكم الا أثراً من آثار الماضين ، وبقية من بقايا أوهام السالفين ، ليس لها من القيمة والقدر الا كما لسائر آثارهم الاخرى من العلوم الطبيعية ، والصناعات اليدوية ، فقد حكم العلم (معاذ الله) بان نواميس الكون كافية في تعليل ظواهره ، وقوانينه قد فسرت اكثر غوامضه ، فلا داعي لفرض وجود قوى وراء الطبيعة ، ولا موجب لتوهم عالم علوي بعد هذه المرئيات المحسوسة ، أما الوجود فقديم إن لم يكن بصورته فبمادته الاولى . وأما القوى التي تصرفه فلا استقلال لها في ذاتها بل هي صفة لهيولاه الاصلية فلا مادة بلا قوة ولا قوة بلا مادة بل المادة في نفسها مظهر من مظاهر القوة المتحركة في الأثير من الازل .

أما الانسان وما نسبتموه اليه من نفس مستقلة عن الجسد وما منحتموها من مزية الخلود بعد فنائه وتبعثر ذراته فما تبطله الشواهد العلمية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وتحيله البداهة التشريحية ، فقد قرر العلم (معاذ الله) أنه لا فرق بينه وبين غيره من الكائنات السفلية ، ولا ميزة له على سواه من الانواع الحيوانية ، بل ليس هو في ذاته الا حيواناً فاق في قوة التعقل والادراك غيره من أبناء نوعه . على أن أبناء نوعه (الحيوانات) غير محرومة من قسط مناسب من التعقل والإدراك . واذا أردت الدليل فدونك كتب حياة الحيوان ترى من آثار الفكر ونتائج التعقل ما يدلك تمام الدلالة على أن العقل ليس بوقف على الانسان ولا هو وصفه المميز . فاذا نسبت للإنسان روحاً مستقلة عن الجسد ومنحتها مزية الخلود والبقاء اعتماداً على القوة العقلية فلم لا تحكم هذا الحكم نفسه بالنسبة الى الحيوانات أيضاً ؟ اليس هذا من آثار المعلومات السابقة الناقة حينما كان الناس لا يميزون بين ما يؤيده الحس والعيان . وبين ما هو من قبيل الخيالات التي تنشأ في الوجدان بلا روية ولا امعان ؟ اما الفضائل التي تقرعون الآذان بها . وتضربون وجوه مناظريكم بسلاحها مدعين أنكم قادتها وزعماؤها . وان لكم حق السيطرة على الناس بها . فليست في الحقيقة تماً لتعليم من التعاليم القديمة لكتب خاصة يقوم بها رجال ذوو صفات خاصة بل هي تابعة لنواميس طبيعية تظهر في الامم الحية ظهور سائر آثار النواميس الاخرى فلا علاقة لها بدين البتة . الا ترون أن كثيراً من المتدينين بعداء عن الفضيلة . مغمورين في غمرات الرذيلة . ودونك الاحصائيات المدققة التي يعتني بجمعها علماء الانسان ترى أن أكثر اصحاب الجرائم من المتدينين المتشددين في الدين واليك كتب علماء الجرائم مثل (لومبروزو) و (فريرو) و (سيرجي) ترى العجب العجاب . بل انظر بعينيك الى الامم التي تزعم أن لها ارتباطاً بالدين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وغيرة على اليقين ألا تراها في حالة من الإجرام والتسفل تفضل عليها معها الامم التي تركت الاديان، وجعلتها خبراً كان، والتفتت للمدنية، والعلوم الطبيعية، فاصلحت شؤنها، ودبرت أمورها، فقامت على قطب الاستقامة والاستقلال، ونحت منحى الكرامة والجلال، فكشفت لها المدنية عن وجهها الباسم، وتجلت لها الحضارة في شكلها الفاتن، فسيطرت على الامم الاخرى بعلومها وصنائعها، وقهرتهم بقوتها وسطوتها، كما صارت بالنسبة اليهم علما في فضائلها وآدابها؛ اذا كان لا فضيلة بغير الدين وأنها لا تخرج عما حددتم لها من القيود في كتبكم فما سبب هذه الآثار المدهشة للعقول المضللة للادراك؛ اذا كان الانسان كما تقولون خلق مستقلا بذاته من طينة علوية، وانه مستعد لأن يسمو بروحه اسمى منصة للحياة الملكية، فلماذا هبطتم وعلا عليكم اولئك الذين يزعمون أن الانسان من سلالة القردة وان بينه وبين الحيوانات أواصر من القربى ووشائج من الرحم؛ اذا كانت الفضيلة كما تقولون لا تثبت الانسان بغير دين ولا تطبع بضميره الا بطابعه فلماذا حرمتم من أصغر أنواعها وسمتكم في باطنها من يقول أن الفضيلة صفة من صفات الحياة الانسانية والرذيلة كذلك. تنشأ الاولى عند ما تكون شؤن تلك الحياة جارية على سمت منتظم ملائمة لقوانين الخلقة وتبرز الثانية في ضد تلك الحالة ؟؟

اما ما تزعمون من أن لا قوام للامم بغير الدين، ولا نظام لهم سوى حبله المتين، فما لا نحتاج معكم فيه الى كبير جدال، ولا كثير قيل وقال، فدونكم الامم الغربية الكبرى قد بنت عظمتها بملا شاكلته وأقامت وحدتها بمنابذة أشياعه، ومع ذلك نرى لها كل يوم في سجل المعالي أثراً جديداً،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي حدائق الفخار والمجد صرحاً مشيداً، فان كان الحال كما تزعمون فأهذا الأثر المنعكس؟ وما تفسير هذا الامر الملتبس؟ أليست كل هذه البراهين المحسوسة دالةً على انكم متمسكون باقوال لا يقوم عليها من عالم الشهود شاهد، ولا ينهض لها من وقائع الحوادث مدافع؟ لا جرم أنكم تتأخرون وتتقدم، وتخضعون ونحكم، ولا غرو أن علونا وسفلتم، وتعززنا وذللتم، كما لا عجب ان استخدمنا نواميس الكون وأسرتكم، واستغللنا خيرات الطبيعة وحرمتم.

كل هذه الشبه المتماصية قد نشأت في وسط العلم الاوروبي ونبع سمها من بين ذرات دسم هذه المدنية العجيبة فالتاثت باكثر العقول أقذارها. وتسممت الفطر بسمومها. وقد سرت هذه السموم الى شبيبتنا الاسلامية التي نهلت من دن العلوم الاجنبية نخلتها عن مجموعها وذهبت بها مذهباً لا تجاريها فيه هؤلاء ولا هؤلاء. وكفى امة عجزاً وضعفاً وقصوراً وتأخراً أن لا يكون لشبيبتها وجهة تسير عليها، ولا غاية تعتقدها وتتوق اليها، وتدأب للحصول عليها، حلت هذه الشكوك والشبه من قادة النشأة وزعماء التقدم في البلاد الاجنبية محلاً عالياً، وجعلتهم ينبذون معتقداتهم ظهرياً، ولكن قام مقامها لديهم موقتاً غيرة قومية، وحمية جنسية او لغوية، لمت شعثهم وضمت اجزاءهم حيناً ظنوا فيه امكان قيامهم بدون الدين بل خالوا ان مصدر رقيهم ومنبع نظامهم والتئامهم، ومنشأ قوتهم ووئامهم، هدم تعاليمه وتذريتها في الهواء مع الهباء. ثم لما استقاموا على هذه المفازة الخطرة حيناً من الزمن ورأى قادتهم ورؤساء مصارفهم ان هذه خطة عوجاء، وسراب ليس وراءه ماء، وان بالإدمان على متابعة السير في خطتهم هذه الهلاك المستأصل والجائحة الكبرى التي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تطفئ نور مدنيتهم ، وتهدم صروح عظمتهم ، وساعد هذا الاثر في نفوسهم الاحساس بالفراغ الذي ألم بصميم معناهم الانساني وجوهرهم البشري من جراء فقد العقيدة التي هي لازم من لوازم هذه النفس الناطقة تعطشت قلوبهم الى الدين الصحيح وحنت فطرهم اليه حنين البائس ينتظر فرجه ويتنسم من شطر الخلاص نسمة . ولكن أين الدين ؟؟ كانت الفلسفة الحسية فلسفة (اجوست كونت) وأشياعه القائلين بأن المعقول إذا لم يؤيده شاهد من الحس جاز أن يكون ضلالاً آخذاً من الافكار مكانة لا يمكن قلعه منها وما دامت أسس الدين من عقيدة وجود الروح وخلودها في دار بعد هذه الدار مما لا يمكن الاستدلال عليها بمحسوس جاز أن تكون وهما لا حقيقة له في الواقع . فهي على حسب أسلوب هذا المذهب الكثير الأشياع من قبيل مالا يمكن إثباته ، وما لابد من عدم الخوض فيه ، وما معنى دين بدون روح وخلود وآخرة فيها نعيم مقيم أو شقاء مستديم ؟ كيف الوصول الى الاعتقاد بدين مهما كانت تعاليمه في عصر هذه فلسفة بنيه وتلك مبادئها ؟ ولكن الله سبحانه أكرم من أن يخيب سائلا وأرحم من أن يطرد طارقاً فأرسل عليهم من جهة فلسفتهم هذه آيات تأخذ بالأعناق خضوعا ، وبالأبصار والبصائر دهشة وخشوعا ، فنشأت اتجاهات سموها (اينوتزم) و (مانيتزم) التنويم المغناطيسي و (اسبرتزم) استحضار الأرواح وغير ذلك استدل منها عليهم على أن للانسان روحا وخلوداً فأنشأوا مئات من المجلات والمجامع وعقدوا لها المؤتمرات والمحافل ، وألفوا فيها الكتب والرسائل ، وبلغ عددهم من العلماء الأعلام ، وقادة المعارف العظام ، والمحامين البارعين ، والكتاب المتفننين ، ما يزيد عن عشرين مليوناً كما سنوضحه بعد ان شاء الله . فهم على هذا لم يقنعوا حتى نهضوا ولم يضلوا حتى أوشكوا يهتدون . ولكن شبهتنا التي جرعت من حوض علومهم وشحنت في أدمغتها صور معارفهم لم يشؤا أن يوسعوا دائرة معارفهم وكأنهم لم يعلموا أن ما يدرس في المدارس من العلوم الطبيعية والرياضية ليس الا قطرة من بحر لا تنقع صدى ولا تروي غلة . بل كأنهم يعتقدون أن العلم واقف حيث هو من عهد (لفوازيير) و (توسيلي) و (ماريوط) و (فولطا) وان باب الرحمة الالهية أغلق في وجه بني آدم (معاذ الله) فلا مرمى بعد مرماهم ولا مذهب بعد مذهبهم ثم نسوا ما تعلموه أيضاً ولم تحفظ ذاكرتهم منه الا أشكالا مشوهاً من استنتاجات عرجاء ليس لها أصل ترتكن اليه ولا أساس تعتمد عليه فهم على مذهب (اجوست كونت) و (داروين) بدون أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يكلفوا أنفسهم معرفة ماهية مذهبهما ، ولا أصول نظرياتهما ، وكأنهم كفاهم في أن يكونوا (اوجوستيين) و (داروينيين) ان يروا في بعض المجلات نبأ من فلسفتهما لم يرد على أسلوب صحيح ولا سلك فيه كاتبه مسالك الاستقراء والتحليل . ثم انهم على فرض تعمقهم في فلسفة علماء هذا العصر وتفلغلهم في مناحيها تدقيقاً وتمحيصاً لم يكلفوا أنفسهم النظر في ماهية الاسلام وأصوله ليروا ان كانت مبانيه مما تهدمها هذه الابحاث أو هي بالعكس تقويها وتؤيدها

أقول هذا ولا أنكر ان لدينا افراداً من رجال هذه النشأة صاروا لهامة علوم العصر تاجا وقي ذروة العلاء الاسلامي عَلَمًا ، ولكنهم ويالاسف قليلو العدد مبعثرون في الجهات مشغولون بالوظائف يتألمون لهذه الحالة مثل ماتتألم ويرون أدواءها مثل ما ترى .

هذه صورة مصغرة من الشبه والشكوك التي جرفتها الينا مدنية اوروبا والقتها باذهان كثير من رجال نشأتنا التي استقت منها معلوماتها ، واخذت عنها لغاتها ، فهل بعد هذا يطوف بفكر عمراني باحث أو تحليلي مدقق انه يمكن جمع جمعية عصبيتها الدين وجامعتها العقيدة وسلاحها اليقين ويكون من أثرها تشييد معالي الاسلام وإرجاع مجده اليه ولو ببذل الارواح ، وبيع المهج بيع السماح ؟ اللهم لا . أذن فلنختر أحد أمرين اما أن نقلب شكل هيئتنا الاجتماعية من شكلها الحالي الى شكل آخر روابطها الوطنية أو الجنسية أو أي امر غيرها وهيهات ان يتم لنا ذلك في ألفي سنة . وإما ان نتعهد رابطتنا الأصلية وهو الدين ونجليه لتلك الاذهان ، في شكل يذهب شكوكهم وشبههم ، ويرجع الى تلك الفطر الاسلامية التائهة نورها الصافي حتى تدور على نفس القطب الذي كانت تدور عليه تلك الأرواح الطاهرة والنفوس الكريمة روح سيد ولد آدم واصحابه الذين كانوا حجة الحق الدامغة . وانوار الفضائل الساطعة ، وخلفاء الله في ارضه وجيرانه في عالم قدسه . صل اللهم عليه وعليهم ونابعيهم آمين

محمد فريد وجدي

(المنار) : مادخل هذا القرن الميلادي الا وكان شغل طائفة من كبار كتاب أوربا البحث عن مستقبل الاسلام فيه فكتبوا في ذلك المقالات الطويلة كلٌّ يظهر رأيه فمنهم من بشر ومنهم من أنذر . وقد كنا شرعنا من عدة أشهر بكتابة مقالة في ذلك عنوانها « مصير الأنام . ومستقبل الاسلام » ولكن شغلتنا عنها مقالات « الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية » ثم مقالة السيد البكري في الموضوع ثم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هذه المقالة . السيد البكري أحسن في بيان الاغراض التي رمى اليها ونتائجه صحيحة وان كان بعض البحث في المقدمات لا يسلم من النقد كما قال صاحب هذه المقالة ولكن لم يكن للتخيلات في كلامه ذلك السلطان الذي نسب اليه بل التخيلات الخطابية والشعرية في هذه المقالة أكثر ولا بأس بذلك اذا أريد به التأثر فيما يحمد وإنما يذم اذا كان خلابة وخداعاً . وأما قوله : ان الجامعة الاسلامية لا ترجى لما رجاه السيد منها وان عقلاء المسلمين الذين طالبهم السيد بالعمل لا يمكن ان يعملوا واستدلاله بعدم تأثير المقالات الطويلة التي كتبت منذ عشر من السنين : فهو غير سديد فإن كل ما كتب بحق واخلاص قد أثر حتى احدث حركة عظيمة في العالم الاسلامي وإن عقلاء المسلمين يشتغلون الآن بما طالبهم به السيد وانما مطالبته لزيادة البيان والتنشيط والكمال . وإنما لم يظهر أثر كبير لسعيهم لضعف الاستعداد . لكل أجل كتاب . وفي هذه المقالة موافقة على هذا فان الكاتب طالب المسلمين في آخرها بأحد أمرين وهم قائمون بالثاني منهما وهو السديد . ولتعلمن نبأه بعد حين .

التنويم واستحضار الأرواح لم يزل أمرها مبهماً . ومستقبل أمرها مجهولا وتعليق مستقبل الاسلام عليهما لا يحث المسلمين على عمل ، ولا يحيي في نفوسهم ميت الأمل . نعم اننا نرجو من كل ما يكشفه العلم من اسرار الخليقة تأييداً للإسلام سواء كان السر روحانياً او مادياً والقول الذي لا ريب فيه هو ان المستقبل للاسلام لأنه دين الفطرة والاجتماع المرشد الى مصالح الروح والجسد والهادي الى الوفاق بين وظائف العقل ووظائف القلب . فلا بد ان يكون الاسلام هو الحاكم الأعلى في المدنية العليا عند ما تكمل هي ويظهر هو خالياً من التقاليد التي اضيفت اليه كما قلناه مراراً . وسنزيده بياناً . اما ما ذكره الكاتب من شبهات اوربا على الدين فهو لا يمس الإسلام لأن عقائده مؤيدة بالعقل وسيرة المسلمين اطهر سير البشر عند ما كانوا على الإسلام السليم من البدع . وعلى كل حال نشكر للكاتب الاول وللكاتب الثاني إعمال قلميهما في هذا الموضوع الشريف وكل منهما احسن في الوجه الذي كتب فيه ولا تنافي بينهما ولا تناقض في الحقيقة وكل ما كتبا لا يمنعنا من نشر ما كنا شرعنا فيه ولكنه كفانا مؤنة التطويل . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ تتمة الاجتماع السادس لجمعية أم القرى ﴾

(تابع لما في الجزء ١٣)

ثم قال (الاستاذ الرئيس) للخطيب القازاني : ان الاخوان يترقبون منه أيضاً ان يفيدهم بما يلهمه الله مما يناسب موضوع مباحث الجمعية

قال (الخطيب القازاني) : إن الاخوان الأفاضل لم يتركوا قولاً لقائل ولذلك لا أجد ما اتكلم فيه وانما أقص عليهم مساجلة جرت في الاستهداء بين مفتي قازان وافرنجي روسي من العلماء المستشرقين العارفين باللغة العربية المولعين باكتشاف وتتبع العلوم الشرقية ولاسيما الاسلامية وقد هداه الله الى الدين المبين فاجتمع بمفتي قازان وقال له انه اسلم جديداً وهو بالغ من معرفة لغة القرآن والسنة مبلغاً كافياً وعالم بموارد ومواقع الخطاب علماً وافياً فيريد ان يتتبع القرآن وما يمكنه ان يحقق وروده عن رسول الله فيعمل بما يفهمه ويمكنه تحقيقه على حسب طاقته لانه لا يرى وجهاً معقولاً للوثوق بزيد او عمرو او بكر أصحاب الاقوال المتضاربة المتناقضة لان حكم العقل في الدليلين المتعارضين التساقط وفي البرهانين المتباينين التهاتر فهل من مانع في الاسلامية يمنعه من ذلك فاجابه (المفتي) ان اكثر الامة مطبق منذ قرون كثيرة على لزوم اعتماد ما حرره احد المجتهدين الاربعة المنقولة مذاهبهم فاطباق الاكثرية دليل على الصحة فلا يجوز الشذوذ

فقال (المستشرق) لو كان الصواب قائماً بالكثرة والقدم وان خالف المعقول لاقتضى ذلك صوابية الوثنية ورجحان النصرانية ولا اقتضى كذلك عكس حكم ما صح وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان امته تفترق الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة هي التي كان هو وأصحابه عليها وقد وقع ما اخبر به وكل فرقة تدعي انها هي تلك الواحدة الناجية ولا شك ان الاثنتين والسبعين فرقة اكثر من اي واحدة كانت منها فأين يبقى حكم الأكثرية .

فاجابه (المفتي) انه قد سبقنا من اهل التحقيق والتدقيق الذين تشهد آثارهم بمزيد علمهم ألوف من الفضلاء وكلهم اعتمدوا لزوم اتباع احد تلك المذاهب القديمة حتى بدون مطالبة اهلها بدلائلهم لأن مداركنا قاصرة عن ان توازن الدلائل وتميز الصحيح والراجح من غيرها ومثلنا في ذلك كالطبيب لا يلزمه ان يجرب طبائع المفردات كلها ليعتمد عليها بل يأخذ علمه بطبائعها عما دونه أئمة الطب .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فقال (المستشرق) نعم ان الطبيب يعتمد على ما حققه الأولون ولكن فيما اتفقوا عليه واما ما اختلفوا فيه على طرفي نقيض بين نافع اوسام فلا يعتمد فيه على احد القولين بل يعملهما ويجدد التجربة بمزيد الدقة والتحقيق لان اعتماده على احدهما يكون ترجيحاً بلا مرجح . هذا وإننا لنرى ببادئ النظر ان هؤلاء الأئمة الأقدمين لم يقدروا ان يطلعوا على مالا يقدر المتأخرون ان يطلعوا عليه ويكفينا برهاناً على ذلك (أولا) تخالفهم في كل الاحكام الا فيما قل وندر تخالفا مهماً مابين موجب وسالب ومحلل ومحرم حتى لم يمكنهم الاتفاق في نحو مسائل الطهارة وستر العورة وما يحل أكله ومالا يحل . (ثانياً) ترددهم في الاحكام وتقلبهم في الاراء وذلك لحكم أحدهم في المسألة ثم عدوله عنه الى غيره كما يقول اصحاب الشافعي انه كان له مذهبان رجع بالثاني منهما عن الأول (ثالثاً) اختلاف أتباعهم في الرواية عنهم كاصحاب أبي حنيفة الذين قلما يتفقون على رواية عنه ويأول ذلك لهم بعض المتأخرين بتعدد مذاهبه في المسألة الواحدة . والحاصل ان الانسان الذى يتقيد بتقليد أحد أولئك الائمة ولاسيما الامام الاعظم منهم لايخلص من قلق الضمير أو يكون كحاطب ليل وعلى ذلك لابد للمتحري في دينه من ان يهتدي بنفسه لنفسه أو يأخذ عمن يثق بعلمه ودينه وصوابية رأيه ولو من معاصريه لان الدين أمر عظيم لايجوز العقل ولا النقل فيه المماشاة واتباع التقليد .

أجابه (المفتي) نحن لا نجزم بأن الصواب مقطوع فيه في جانب احد تلك المذاهب بل المقلد منا اما أن يقول باصابة الكل أو يرجح الخطأ في جانب من ترك مع احتمال الصواب .

فقال (المستشرق) هذا القول يستلزم تعدد الحق عند الله أو القول بالترجيح بلا مرجح لانكم تحاسبون المخالفة بين الأئمة واعترافكم باحتمال المذاهب للخطاء يقتضي جواز تركها كلها مع انكم توجبون اتباع أحدها أفليست هذه قضايا لاتتطابق ولاتتقبل فلماذا لا تجوزون وانتم على هذا الارتباك ان يستهدي المبتلى لنفسه فاذا تحقق عنده شيء عن يقين أو غلبة ظن اتبعه والا كان مختاراً ولا يكلف الله نفساً الا وسعها .

أجابه (المفتي) اننا لبعد العهد لم يبق في امكاننا التحقيق فما لنا من سبيل غير اتباع أحد المتقدمين ولو كان تحقيقه يحتمل الخطاء .

قال (المستشرق) ما الموجب لتكليف النفس مالم يكلفها به الله ؟ أليس من الحكمة أن يحفظ الانسان حريته واختياره فيستهدي بنفسه لنفسه حسب وسعه فان أصاب كان مأجوراً وان أخطأ كان معذوراً ويكون ذلك أولى من أن يأمر نفسه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

للخطاء المحتمل من غيره .

أجابه (المفتي) ان هذا الغير أعرف منا بالصواب واقل منا خطأ فتقليده أقرب للحق .

قال (المستشرق) هذا مسلم فيما اتفق عليه الاقدمون اما في الخلافيات فالعقل يقف عند الترجيح بلا مرجح ولا سيما اذا كنتم لاتجوزون أيضاً البحث عن الدليل ليحكم المبتلى عقله في الترجيح بل تقولون نحن أسراء النقل وان خالف ظاهر النص .

أجابه (المفتي) اننا اذا أردنا ازلا نعد من شرعنا الا ما تحقق بانفسنا دليله من الكتاب أو السنة او الاجماع تضيق حينئذ علينا احكام الشرع فلا تفي بحل اشكالاتنا في العبادات ولا لتعيين احكام حاجاتنا في المعاملات فيحتاج كل منا ان يعمل برأيه في غالب دقائق العبادات والمعاملات ويصير القضاء غير مقيد بايجابات شرعية وهل من شك في ان اطراد الاراء وانتظام المعاملات اليق بالحكمة من عدم الاطراد والنظام .

قال (المستشرق) لاشك في ذلك ولكن أين الاطراد والانتظام منكم ولا يكاد يوجد عندكم مسألة في العبادات أو المعاملات غير خلافية ان لم تكن في المذهب الواحد فبين مذهبين أو ثلاث . هذا وربما يقال ان توفيق العمل على قول من اثنين أو أكثر أقرب للاطراد من الفوضى المحضة في تفويض الامر لرأي المبتلى أو تفويض الحكم لحرية القاضي فيجاب عن ذلك بأن الامر أمر ديني ليس لنا أن نتصرف فيه برأينا ونعزوه الى الله ورسوله كذباً وافتراء وافساداً لدين الله على عباده ولو ان الامر نظام وضعي لما كان ايضاً من الحكمة ان يلتزم اهل زماننا آراء من سلفوا من عشرة قرون ولا أن يلتزم اهل الشرق قانون اهل الشرق وعندي ان هذا التضييق قد استلزم ما هو مشاهد عندكم من ضعف حرمة الشرع المقدس .

ثم قال (المستشرق) واعيد قولي انكم تحبون أن تكلفوا أنفسكم بما لم يكلفكم به الله ولو ان في الزيادات خيراً لاختارها الله لكم ولم يمنعكم منها بقوله تعالى : (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) أي مما يتعلق بالدين (١) وقوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) وقوله تعالى (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ولكن علم الله الحير في القدر الذي هداكم اليه وترك لكم الخيار على وجه الإباحة في باقي

(١) يريد ان القرآن محيط باحكام الدين وما يناسبه لا بكل علم الله كما يتوهم الكثيرون

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شؤنكم لتوفقوها على مقتضيات الزمان ابي الغير وموجبات الاحوال التي لاتستقر فبناء عليه اذا أتيتم اكثر اعمالكم الحيوية باطمئنان قلب بإباحتها يكون خيراً من أن تأتوها وأنتم حيارى لاتدرون هل اصبتم فيها ام خالفتم امر الله فتعيشون وأفئدتكم مضطربة تحاذرون في الدين شؤم المخالفة وفي الآخرة عذاباً عظيماً. وليس هذا من خافة الله التي هي راس الحكمة ولا من مراقبة الوازع التي هي مزية الدين بل هذا من الارتباك في الرأي والاضطراب في الحكم ونتيجة ذلك فقد الحزم والعزم في الامور

ثم قال: اعلم أيها المفتي المحترم ان هذه الحالة التي انتم عليها من التشديد والتشويش في أمر الدين هي أكبر أسباب انحطاط المسلمين بعد القرون الأولى في شؤن الحياة كما انحط قبلهم الاسرائيليون بما شدده وشوشه عليهم أهل التلمود وكما انحطت الامم النصرانية لما كانت (ارثوذكسية) مغلظة أو (كاثوليكية) متشددة يتحكم فيها البطارقة والقسيسون بما يشاؤن تحت اسم الدين فكانوا يكلفون الناس أن يتبعوا مايلقنونهم من الاحكام بدون نظر ولا تدقيق حتى كانوا يحظرون عليهم أن يقرأوا الأنجيل أو يستفهموا عن معنى التثليث الذي هو أساس النصرانية كما ان التوحيد أساس الإسلامية. وبقي ذلك كذلك الى أن ظهرت (البروتستان) أي الطائفة الانجيلية التي رجعت بالنصرانية الى بساطتها الاصلية وأبطلت المزيدات والتشديدات التي لاصراحة فيها في الأناجيل والى أن اتسع من جهة أخرى عند الامم النصرانية نطاق العلوم والفنون رغماً عن معارضة رجال الكهنوت لها فتلطفت أيضاً الكاثوليكية والارثوذكسية عند العوام واضمحلتا بالكلية عند الخواص لان العلم والنصرانية لايجتمعان أبداً كما ان الاسلامية المشوبة بحشو المتفقهين تضلل العقول وتشوش الافكار.

أما الإسلامية السمحة الخالصة من شوائب الزوائد والتشديد فان صاحبها يزداد ايماناً كلما ازداد علماً ودقق نظراً لانه باعتبار كون الاسلامية هي أحكام القرآن الكريم وما ثبت من السنة وما اجتمعت عليه الأمة في الصدر الاول لايوجد فيها ما يأباه عقل أو يناقضه تحقيق علمي

وكفى القرآن العزيز شرفاً انه على اختلاف مواضيعه من توحيد وتعليم وانذار وتبشير وأوامر ونواه وقصص وآيات آلاء قد مضى عليه ثلاثة عشر قرناً تمحضه أفكار الناقدين المعاندين ولم يظفروا فيه ولو بتناقض واحد كما قال الله تعالى فيه: «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» بل الأمر كما نبه اليه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المدققون المتأخرون انه كلما اكتشف العلم حقيقة وجدها الباحثون مسبوقة التلميح أو التصريح في القرآن. أودع الله ذلك فيه ليتجدد إعجازه ويتقوى الإيمان بأنه من عند الله لأنه ليس من شأن مخلوق أن يقطع برأي لا يبطله الزمان.

فهذه القضايا التي قررها حكماء اليونان وغيرهم على أنها حقائق ولم تتردد فيها عقول عامة البشر ألوفا من السنين أصبحت محكوماً على أكثرها بأنها خرافات.

وكذا يقال كفى السنة النبوية شرفاً انه لم يوجد في أعاظم الحكماء المتقدمين والمتأخرين من يربو عدد مايعزى اليه من الحكم التي قررها غير مسبوق بها على عدد الأصابع مع ان في السنة المحمدية على صاحبها أفضل التحية من الحكم والحقائق الأخلاقية والتشريعية والسياسية والتعليمية ألوفا من المقررات المبتكرة يجلى عظم قدرها مع تجدد الزمان وترقي العلم والعرفان.

وكفى بذلك ملزماً لأهل الإنصاف بالإقرار والاعتراف لصاحبها عليه السلام بالنبوة والأفضلية على العالمين عقلا وعلماً وحكمة وحزماً وأخلاقاً وزهداً واقتداراً وعزماً وكفى أيضاً بهذه المزايا العظمى ملزما بتصديقه في كل ماجاء به واتباعه في كل ما أمر أو نهى لان الدهر لم يأت بمرشد للبشر أكمل وأفضل منه (مرحى)

ثم قال (المستشرق) للمفتي وهذا مادعاني الى الاسلام فلبيت والحمد لله وعندي ان لو قام في الاسلام سراة حكماء دعاة مقدمون لما بقي على وجه الارض عاقل يكفر بالله. ثم قال: واني أرى أنه لا يمضي قرن الا ويكثر المهتدون من المستشرقين ويرسخون في الدين فيتولون تحرير شريعة الإسلام، ويفيضون بها على الأنام، حتى على أهل التركي والمقام، ولا يبعد أن تأتي الأيام بالقس محمد الهندي الزوري أو الانكليزي متلا قائماً مقام الإمام، مهيداً عن الاسلام بأكمل نظام.

أجاب (المفتي): لامانع مما ذكرت. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ودين الله دين عام. لا يختص بقوم من الاقوام.

ثم قال (المستشرق): أيها المفتي المحترم لا يطاوعني لساني ان ادعي الغيرة على الملة البيضاء الأحمدية أكثر منك انما أناشدك بالله وبحبك لدينك ان تترك هذه الأوهام التقليدية القائمة في فكرك وتعيني على تأليف كتاب يصور حكمة دين الاسلام وسماحته ليكون سعينا هذا ذخراً عظيماً ننال به فخر وثواب هداية عشرات الملايين بل مئات الملايين من الناس الى هذا الدين المبين. ولا يكبرن ما أقول على فكرك فان أهل هذا الزمان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المستنيرين الأحرار لايقاسون بأهل الازمنة المظلمة الغابرة . نعم ونال أيضاً ثواب حفظ الملايين الكثيرة من أبناء المسلمين الفريقين تلامذة المدارس المصرية من هجر الاسلامية على صورتها الحاضرة المشوهة باختلاط الحكم بالخرافات المعطلة بثقل التشديدات المبتدعة فالبدار البدار لأن نفوز بهذه الخدمة التي (يكاد) يعادل أجرها أجر نبي مرسل والله المعين الموفق .

اجابه (المفتي) أصبت فيما فكرت ولعم ما أشرت به ولكن هذا عمل مهم يحتاج القيام به لعناية جمعية يتكون من تضلع أعضائها في فروع العلوم الدينية علم كاف للإحاطة وحصول الثقة ولسوء الحظ لايوجد من فيهم الكفاءة في هذه البلاد ولذلك يتحتم علينا أن نترك هذه الفكرة آسفين وندعو الله تعالى أن يلهم علماء مكة أو صنعاء أو مصر أو الشام القيام بأداء هذا الواجب .

ولما انتهى (الخطيب القازاني) الى هنا قال هذه هي المساجلة وقد سمعت المفتي يقول انه اجتمع بكثير من المستشرقين فوجدهم كلهم يحسنون العربية أكثر من علماء الاسلام غير العرب مع أنهم يشتغلون في علوم اللغة عمرهم كله وما ذلك الا من ظفر مدارس اللغات الشرقية الافرنجية بأصول تعليم العربية أسهل من الأصول المعروفة عندنا .

قال (المجتهد التبريزي) اني أرى ان الاسلام اصابه فتنتان عظيمتان ولولا قوة أساسه البالغة فوق مايتصوره العقل لما ثبت الدين الى الآن . أما الفتنة (الأولى) فقد قدرها الله ومضت على وجهها وهي حين تشاجروا في الخلافة والملك وانقسموا على أنفسهم بأسهم بينهم يقتل بعضهم بعضاً ويتفرقوا في الدين لتفرقهم في السياسة .

وأما الفتنة (الثانية) فلم تزل . ثمرة وهي ان الخلفاء العباسيين مالوا الى تعميق النظر في العقائد فقدمهم من خدمهم من علماء الاعاجم تقرباً اليهم في علم الكلام وأكثروا من القيل والقال ثم سرت العدوى الى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من المذاهب فاقبلوا على التدقيق والجدل في الخلافيات بين أبي حنيفة والشافعي وأثاروا بينهما فتنة عمياء وحرباً صماء وتركوا بقية المذاهب فاندرست ولم يبق منها سوى مذهب زيد وأحمد في جزيرة العرب ومذهب مالك في الغرب ومذهب جعفر في بلاد الجزر وفارس فاكثروا التأليف والتصنيف في هذه المذاهب كل مؤلف يحب ان يبدي ماعنده ليشتهر فضله وينال حظه من دنياه زاعماً ان غرضه استنباط دقائق الشرع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتقرير علل المذاهب فتزاحموا وتجادلوا وناقض بعضهم بعضاً وكان من العلماء بعض الصلحاء المقبلين شاركوهم في الفتنة وهم لا يشعرون كما قال الله تعالى : (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) وقوله تعالى (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) .

وهكذا اتسعت دائرة الاحكام في الشرع فصار الخلف عاجزين عن التقاط الفروع فضلاً عن الرجوع الى الأصول فاطمأنت الأمة للتقليد وأقبل العلماء على التعمقات في الدين يغرب المفسر ويتفنن ولو بحكايات قاضي الجن لأنه غير مطالب بدليل ويتفحص المحدث عن نوادر الاخبار والآثار ولو موضوعة لانه غير مسئول عن سنده ويستنبط الفقيه الحكم ولو بالشبه من وجه للازم اللازم للملة لأن مجال التحكم واسع وهدد الفتنة لم تزل مستمرة الى أن أوقفها قصور الهمم عند الاكثرين .

على ان هؤلاء المتأخرين اخلدوا الى التقليد الصرف حتى في مسألة التوحيد التي هي أساس الدين ومبدأ الايمان واليقين والفارق بين الكفر والاسلام وجعلوا أنفسهم كالعميان لا يميزون الظلمة من النور ، ولا الحق من الزور ، وصاروا يحسنون الظن في كل ما يجدونه مدوناً بين دفتي كتاب لانهم رأوا التسليم أهون من التبصر ، والتقليد أستر للجهل ، وصار أهل كل اقليم أو بلد يتعصبون لمؤلفات شيوخهم الأقدمين ويتخذون الخلافيات مداراً لتطبيق الاحكام على الهوى لا يبالون بحمل أثقال الناس في الدين على عواتقهم يزعمون ان التسليم أسلم وانهم أسراء النقل وان خالف ظاهر النص بعيد من أن يكون اختلاف الأئمة رحمة نبوية .

نعم ان اختلاف الأئمة يكون رحمة اذا حسن استعماله ويكون نقمة اذا صار سبباً للتفرقة الدينية والتباغض كما هو الواقع بين أهل الجزيرة السفليين وبين أهل مصر والغرب والشام والترك وغيرهم من المسلمين وبين أهل عراق العجم وفارس والصنف الممتاز من أهل الهند الشيعيين وبين أهل زنجبار ومن حولهم من الأباضيين فهذه الفرق الكبرى يعتقد كل منهم انهم وحدهم أهل السنة والجماعة وان سواهم مبتدعون أو زائغون فهل والحالة هذه يتوهم عاقل ان هذا التفرق والانشقاق رحمة لا نقمة وسببه وهو التوسع في الاحكام سبب خير لا سبب شر .

وكذلك اختلاف المجتهدين في كل فرقة من تلك الفرق لا يتصور العقل ان يكون

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رحمة لا يقيد حسن استعماله والا فيكون نقمة حيث يوجب تفرقة ثانية بين مالكي وحنفي وشافعي مثلاً .

والمراد من حسن استعمال الخلاف هو ان كل قوم من المسلمين قد اتبعوا مذهباً من المذاهب ترجيحاً أو وراثة أو تعصباً ولا بد أن يكون في المذهب الآخذ به كل قوم بعض الأحكام الاجتهادية التي لا تناسب أخلاق أولئك القوم أو لا تلائم أحوالهم المعاشية أو طبائع بلادهم فيضطرون الى الإقدام على أحد أمرين أما التمسك بتلك الاحكام وان أضرت بهم أو الجنوح الى تقليد مذهب اجتهادي آخر في تلك الاحكام فقط وقد كان أكثر علماء وفقهاء المسلمين الى القرن الثامن بل التاسع يختارون الشق الثاني فيقلدون في هذه الحالة المذاهب الأخرى ولكن بعد النظر والتدقيق في الأدلة كما كان شأنهم في نفس مذاهبهم الاصلية لئلا يكونوا مقلدين تقليداً أعمى لا يجوزه الدين أساساً الا لجاهل بالكلية .

وهذه الطريقة هي الطريقة المتبعة الى اليوم في بلاد فارس والعلماء المتصدرون لذلك هم أفراد من توابع العلماء المتضلعين في علوم مآخذ الدين وأكثرهم ولا سيما الايرانيون منهم متفقهون ومتخرجون في مذهب الامام جعفر الصادق (رضي الله عنه) المدوّن عندهم ويطلق اهل فارس على هؤلاء العلماء اسم (مجتهدين) تجوزاً وانما لمادة الاعاجم في التغالي في التبجيل ونعوت الاحترام ومن ذلك يعلم ان ما يظنه فيهم اخوانهم المسلمون البعيدون عنهم غير الواقفين على احوالهم الا من تفوهات السياسيين غير صحيح فما هم كما يقولون عنهم مجتهدون في أصول الدين مجوزون الرأي في الإجماعيات مخرجون الاحكام اخذاً من الدلائل التفصيلية ولو لم يقل بها احد من علماء الصحابة والتابعين واعاظم أئمة الهداية الأولين فما احرى مجتهدي فارس بأن يلقبوا بمرجحين او مخرجين او فقهاء مدققين

ثم ان بعض الناس دعوا التقليد لأحد المذاهب اذا اخذ في بعض الاحكام بمذهب آخر ملفقاً وسموا اخذه تلفيقاً واستعملوا لفظة تلفيق في مقام التلاعب في الدين او الترقيم القبيح والحال ان ما سموه بالتلفيق ليس الا عين التقليد من كل الوجوه ولا بد لكل من اجاز التقليد ان يجيزه لانه اذا تأمل في القضية يجد القياس هكذا : يجب على كل مسلم عاجز عن الاستبداد في مسألة دينية بنفسه ان يسأل عنها من اهل الذكر اي يقلد فيها مجتهداً وكل مقلد عاجز طبعاً عن الترجيح بين مراتب المجتهدين فبناءً عليه يجوز له ان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مقلد في كل مسألة ان يكون مجتهداً .

وما المانع على هذا الاعتبار لمسلم المقلد ان يتعلم كل مسألة من الطهارة والغسل والوضوء والصلاة من مجتهد أو مقلد تابع لمجتهد فاذا اغتسل بماء دون قلتين لحقته قطرة خمر واعتبره طاهراً كما علمه عالم مالكي غسلا بدون دلك كما علمه عالم حنفي وبعد حدث موجب توضأ ومسح شعرات من الرأس كما علمه عالم شافعي وصلى بعد خروج دم قليل منه كما علمه عالم حنبلي صلاة الصبح بعد طلوع الشمس كما علمه عالم زيدي وعمل الفرض بصلاة أخرى بدون خروج من الأولى كما علمه عالم جعفري أفلا يكون هكذا المقلد صلى صلاة تجزئه عند الله ؟ بلى ثم بلى تجزئه بالضرورة حتى لا يقوم دليل على ان ذلك خلاف الأولى كما يقال في حق الخروج من الخلافات لانه لا يعقل أن يكلف هذا المقلد بأخذ دينه كله من عالم واحد لان الصحابة رضى الله عنهم مع اجتهادهم وخطائهم في الاحكام كان يصلي بعضهم خلف بعض مع حكم الواحد منهم على حسب اجتهاده بعدم صحة صلاة امامه واشتراطه صحة صلاة المأموم بصحة صلاة الامام . وهل يتوهم مسلم ان أبا حنيفة كان يمتنع أن يأتم بمالك أو يأبى أن يأكل ذبيحة جعفر كلا بل كانوا أجل قدراً من ان يخطر لهم هذا التعصب على بال وما كان يخالفهم الا من احتياط كل منهم لنفسه

ويوجد في كل مذهب من المذاهب جماعة من تلاميذ الامام او الفقهاء المعروفين بالمرجحين كل منهم كان مجتهداً لم يتقيد بمذهب امامه تماماً وخالفه في كثير او قليل من الاحكام مخالفة اجتهاد بسبب اطلاعه على أدلة مجتهد آخر او الفتح عليه بما لم يفتح به على امامه ولان الذين يلزم المسلم بأن يتبع في كل مسألة منه الشارع لا الامام وان يعمل في مواقع الاجتهاد باجتهاده لا باجتهاد غيره وان كان افضل منه .

وهذا ابو حنيفة وامثاله رحمهم الله تعالى كانوا افضل من ان يعتقدوا في انفسهم الأفضلية على ابي بكر وعمر رضى الله عنهما ومع ذلك خالفوهما في كثير من الأحكام الاجتهادية وفقهاء كل مذهب من المذاهب لم يزالوا الى الآن يجوزون الاخذ تارة بقول الامام وتارة بقول احد اصحابه مع ان ذلك هو عين التلفيق فلماذا لا يجوز الحنفية مثلا التلفيق بين اقوال ابي حنيفة والشافعي او غيره وليس فيهم من يقول ان اصحاب امامهم افضل من الشافعي ومالك وابن عباس فما هذا الا تفريق بلا فارق وحكم بعكس الدليل .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد نتج من التفريق بين المسلمين والتشديد عليهم في دينهم ومصالحهم بدون موجب غير التعصب المخالفة لأمره تعالى (اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه). « مرحي »

ثم ختم (المجتهد التبريزي) مقاله بقوله: وليس مقامنا الآن مقام استيفاء هذا البحث وانما أوردت هذا المقدار منه بقصد بيان جواز التلفيق اذا كان عن غرض صحيح كما جوزه كثير من فقهاء كل المذاهب. ولا شك ان ضرورة التلفيق أهم من الضرورة التي لأجلها جوز الفقهاء الحيل الشرعية مع انها وصمة عار على الشرع حيث لا يعقل ان يقال مثلا ان الشفعة مشروعة دفعاً للضرر عن الشريك أو الجار ولكن يجوز هذا الإضرار للمحتال. أو ان الربا حرام ولكن اذا أضيف للقرض ثمن مبيع خسيس بنفيس جاز استباحة مقصد الربا. أو ان إيتاء الزكاة فرض ولكن اذا أخرج رب المال ماله قبل الحول ثم استعاده سقطت عنه — الى غير ذلك من ابطال الشرع وجعل التكليف تخييراً والتقييد اطلاقاً. ولا حجة لهم في هذا غير ما رخص الله به لايوب عليه السلام من التوصل للبر بالحنث في قوله تعالى (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث) وما أبعد القياس بين الحنث وبين إبطال الشرع. ولا شك ان المسلمين بذلك صاروا كأنهم لا شرع لهم وقد غضب الله على اليهود لتحيلهم على صيد السبت فقط ونحن نجوز ألف حيلة مثلها بضرورة وبلا ضرورة.

بناء عليه من الحكمة أن نلتمس للضرورات أحكاماً اجتهادية فيأمر بها الإمام إن وجد والا فالسلطان ليرتفع الخلاف فتعمل بها الأمة ما دام المقتضي باقياً فاذا ألجأ الزمان الى تبديلها بقول اجتهادي آخر فكذلك يأمر به الإمام أو السلطان رفعاً للخلاف. وبمثل هذا التدبير الذي لا يأباه شرعنا ولا تنافيه الحكمة نستبدل بتلك الحيل المعطلة للشرع الاسلامية ترقيمات كل فقيه ومتفقه أحكاماً شرعية ايجابية لا زيغ فيها وبنحو ذلك يسلم شرعنا من التلاعب والتضارب ويتخلص القضاء والإفتاء من التوفيق على الاهواء. وحينئذ يتحقق أن الخلاف في الفروع رحمة. والحاصل أنه يقتضي على علماء الهداية أن يقاوموا فكر التعصب لمذهب دون آخر فيكون سعيهم هذا متجهاً للتأليف وجمع الكلمة في الأمة

قال (الاستاذ الرئيس) انا نشكر أخانا المجتهد التبريزي على بيانه لنا حالة اخواننا أهل فارس وعلى غيرته للدين وقصده التأليف بين المسلمين أما تقريره بخصوص أن حكم الامام ان وجد والا فالسلطان يرفع الخلاف وبخصوص ان التلفيق هو عين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العلماء فتقرير يحتاج الى نظر وتدقيق وسنقوم بمثل هذه التدقيقات في المسائل الدينية التي بحث فيها الاخوان الكرام الجمعية الدائمة التي ستتشكل ان شاء الله . واليوم قد قرب وقت الظهر وآن أوان الانصراف

باب الاخبار والآثار

(رمضان — المنكرات فيه) هو شهر الصيام ، والتلاوة والقيام ، والاقبال على الله ، والاعراض بقدر الامكان عن سواه ، وان تأثيره ليظهر في جميع بلاد المسلمين بترك معاهد اللهو والكؤوس في المساجد وتغيير العادات الا أن هذا التأثير في هذه المدينة (القاهرة) أقسم منه في سائر بلاد الاسلام فيما أعلم وأظن لا ما تقدم به من كثرة المرتلين للقرآن في البيوت ترى أكابر العلماء في غير القطر المصري قد انتدبوا فيه لقراءة الدروس الدينية وإلقاء المواعظ المؤثرة منتشرين في المساجد وترى مساجد القاهرة التي عدد علمائها يزيد على عدد العلماء في كل مدينة سواها خالية منهم الا القليل كالمسجد الحسيني والمسجد الزينبي . وأكثر من يتصدى للوعظ الجاهلون الذين يغرون الناس بالاماني ويقصون عليهم القصص الخرافية والأساطير الوضعية . وفي كل سنة نذكر الشيخ عليا البيلاوي شيخ المسجد الحسيني بوجوب منع هؤلاء القصاصين منه ولعله يفعل في هذا العام يفعل شيخ الأزهر في المسجد الزينبي لا يأذن لأحد بالوعظ فيه الا اذا وثق بعلمه

اذا كانت معاهد العلم والإرشاد ليست عامرة في القاهرة فلا عجب اذا عمرت معاهد اللهو والفسق حتى في رمضان فقد اطلعنا منذ أيام على (إعلان) ينشر في الطرق والشوارع فاذا فيه أن زعيما من زعماء الملاهي قد استحضر مغنية شهيرة وراقصة بارعة لاحياء ليالي رمضان الخ الخ ولو أني عد هؤلاء المغنين الخلعاء الذين يحربون بيوتهم بأيديهم ليعمروا بيوت أعدائهم بقية من الغيرة الملية والشهامة الاسلامية لكافؤا هذا المستهين بهم والمستهزئ بدينهم بالاعراض على فنيته ورقاصته وان لم يتوبوا عن الفسق توبة نصوحا

الجرائد ورمضان — أو — المنار والمنارات

سمعنا من بعض أصحاب الجرائد المنتشرة الشكوى من بخل رمضان عليهم وهو أبسط الشهور في الإنفاق يدا ، وأكثرهم في التوسع مددا ، ولكن هذا البسط هو السبب في ذلك القبض أعني قبض الأيدي عن دفع اشتراك الجرائد لأن الناس يحبون الانفاق في رمضان على المآدب لا على الآداب وفي القربات الدينية ، لا في

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بالكربات السياسية ، ولهذا لم يكن المنار من الشاكين ، وانما هو من الشاكرين . لان حظه في رمضان كحظ أخواته منارات المساجد كما أن وظيفته كوظيفتهن ، كل منهما وضع لدعوة المسلمين الى الصلاة والصيام ، وكل منهما يزيد مدده في هذه الايام ، أما المنارة فمددها الزيت والقناديل ، وأما المنار فمدده الدراهم والدنانير ، وحق المنار آكد وأثبت من حق المنارة لأن دعوته عامة تشمل العقائد والاخلاق ، ودعوتها خاصة بالصلاة والصوم ، ودعوته يسمعها الالوف ، ودعوتها يسمعها نفر قليل ، ودعوته مؤيدة بالبرهان ، ودعوتها تذكير مجرد لاهل الإذعان ، ودعوته متوقفة على مدد القراء ، ودعوتها لا تتوقف على الزيت ولا الكهرباء . ولهذا كان إمدادها هذا منتقداً عند المتورعين ، وترك امداده منتقداً عند المتدينين ، وقد سبق الى العمل بهذا الحكم أهل المنصورة والسنبلاوين ، وستتلوهم الفيوم وشبين ، اللهم آمين

(بدعة جديدة في مسجد جديد) جدد ديوان الأوقاف مسجداً من المساجد المدعثرة في الفيوم وقد احتفلوا بافتتاحه في يوم الجمعة الماضية بالصلاة فيه وكان الاحتفال بعد الصلاة وسماع خطبة الخطيب الخرافية التي مدح واضعها فيها المسجد مدحاً استنبطه من حروفه . وبالله كيف يرضى المسلمون بأن يقول خطباؤهم مثل هذا الكلام اللغو الذي أمر الله تعالى بالاعراض عنه كما أمر بالاستماع للخطبة حتى ان حاضر مثل هذه الخطبة لايدري أهو مطالب بأن يكون ممن قال الله تعالى فيهم « والذين هم عن اللغو معرضون » وقال فيهم « واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه » أم هو مطالب بامتثال قوله عز وجل « واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا » على قول المفسرين انها نزلت في الخطبة ؟ أما كون ذلك من اللغو فيعرفه العامي اذا لاحظ ان كل حرف يكون مبدأ كلمات تدل على معاني شريفة وكلمات تدل على معاني خسيسه فالدال اول حرف من كلمة الدين والدعاء والدراية وكذلك هو أول حرف من كلمة الدنس والدناءة والدعارة

ثم قام خطيب الاحتفال بعد الصلاة وقال « افتتح المسجد باسم الخديو » الخ ثم مضى في كلامه والناس تصفق له لا سيما عند ذكر الامير حتى كأنهم انقلبوا عن الاسلام الى عبادة الجاهلية التي نزل فيها قوله تعالى « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » والتصدية هي التصفيق . فليعلم الغافلون ان بيوت الله تفتتح باسم الله والخشوع له وتجتنب فيها عبادات الجاهلية ، وبدع المدنية . فمن كان مخلصا لسلطانه وامير فليدع الله تعالى فيها بان يصلح شؤنهما ويوفقهما لما فيه خير الملة والامة وليعلم أنها بيوت يستوي فيها المأمور والامير في الخضوع لله العلي الكبير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(استشارة في أمر ذي بال) — رأى القراء فيما قرأوه من مباحث جمعية أم القرى في الاجتماعات الستة أن كل ما ذكره أعضاؤها من أسباب فتور المسلمين وضعفهم يرجع الى الدين والشؤن الاجتماعية والسياسة العامة . وفي الاجتماع السابع الآتي تفصيل أسباب الفتور في سياسة الدولة العلية العثمانية وإدارتها وهي عشرون سبباً .

وقد كنا ذكرنا عند التنويه بسجل الجمعية وذكر العزم على نشره في المنار أن مافيه من القول بسيئات الدولة العلية يؤلم أكثر القارئين وأننا نختار حذفه عند الوصول اليه . ولكننا رأينا كثيراً من الناس يفند هذا الرأي ويقول ان قراء المنار كلهم أوجلهم من خواص الناس وأهل الفضل الذين يزيدهم العلم بعيوب دولتهم حرصاً على بقائها وسعياً في اصلاح خللها ان استطاعوا فيجب أن لايحرموا من الاطلاع على الآراء والمباحث التي دونت في سجل الجمعية . فلم يقنعنا هذا القول تمام الإقناع وأحببنا أن نستشير قراء المنار الآخرين فمن كان يرى نشر السجل برمته وذكر كل مافيه عن الدولة والترك فحسبه سكوته دليلا على رأيه . ومن كان يرى وجوب حذف ماينتقد على الدولة فعليه أن يذكر لنا رأيه قولا أو كتابة وأننا نرجح هذا الرأي اذا كان عليه عشر المشتركين ولايصح لمن يسكت قبل النشر أن يلوم بعده

(أشهر مشاهير الاسلام) صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب في سيرة سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله تعالى عنه) وفيه أبواب من العبرة واسعة ، ومباحث في التاريخ والسياسة الاسلامية نافعة ، منها بحث « حكم الاسلام في المسيحيين وحكم الاوربيين في المسلمين » ومنه يعلم أي الفريقين أعدل . وبحث الردة وحقيقتها . وبحث كون دمشق كانت قاعدة الغسانيين أو كون سوريا كانت وطنهم . وبحث شجاعة المسلمات ومساعدتهن الرجال في الفتوح . وبحث الحكم النيابي والشورى في الاسلام . وبحث الاستعمار . وأبحاث تدوين الدواوين وترتيب العمال وضرب النقود ووضع البريد والحكومة العسكرية والحكومة القانونية وبيت المال وغير ذلك مما يؤخذ من سياسة سيدنا عمر وسيرته العادلة التي تضرب الامم بها الامثال ناهيك بذكر الوقائع والفتوح والقضاء . وانا نشكو من كثرة أغلاط الطبع فيه ولكننا واقفون على سببه وهو أن معظم الكتاب طبع ومؤلفه (رفيق بك العظم) غائب في الشام والمعلم منع إصداره حتى استخرج له جدولا أحصى فيه الاغلاط والحقه به ولولا ذلك لصدر من بضعة أشهر . وصفحاته تزيد على ٣٠٠ وثمنه ١٠ قروش صحيحة وأجرة البريد قرشان وهو يطلب من ادارة مجلة المنار بمصر ومن المكتب المشهورة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر الثلاثاء في ١٦ رمضان سنة ١٣٢٠ — ١٦ ديسمبر (٣ كانون اول) سنة ١٩٠٢)

سير الامم ، ومصير الاسلام

كتب الباحثون من أهل اوربا مقالات كثيرة في مستقبل الاسلام في القرن العشرين فخاضوا فيه من الجهة الدينية والجهة الاجتماعية والجهة السياسية حتى ضربوا في كل فج ، وهاموا في كل واد ، فمن زاعم ان المسلمين سائرون الى العدم والانقراض لأنهم اعداء المدنية الحديثة القائم بناؤها على سنن الكون ونواميسه التي لا تتبدل ولا تتحول فهم بذلك أعداء الوجود ومن عادى الوجود فالعدم أولى به . ومن قائل ان هذه الامة الكبيرة لا تنقرض كما انقرض هنود امريكا لانهم أرقى منهم بما سبق لهم من المدنية ولكن يزول سلطانهم فلا تبقى لهم حكومة فتخطفهم الأمم القوية ويعيشون أذلاء مستضعفين ، الى أبد الآبدين ، ومن ذاهب الى أنهم سينهضون ، ومن بعد غلبهم سيغلبون ، واختلف هذا الفريق في

www.alukah.net إطلالة من شبكة الألوكة

هذه النهضة كيف تكون وأين توجد . فظن بعضهم أن ستكون بالاخذ بمدنية أوربا وتنشأ في الهند ، فارس والاستانه ومصر ورجح بعض أنها تكون بالعصبية الدينية والقوة الحربية وتنشأ في افريقيا او الصين . وغفل كل من المختلفين عن منبتين آخرين لمجد الإسلام المستقبل وهما أوربا وأمريكا اذا أسرع بهما العلم ونظام الاجتماع الى الإسلام ، الذي لا بد أن تنتهي تلك الأمم اليه في يوم من الايام ، أو جزيرة العرب اذا أبطأ بهما سير العرفان ، وسنن العمران ، فظلت أوربا تطارد المسلمين وتضطهدهم حتى يأرز الاسلام برجالاته المحنكين الى جزيرة العرب كما تأرز الحية الى جحرها ومن ثم ينفثون سموم التعصب في الشرق كله فما ينظر الأوربيون فيه إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون

أراني عجلت برأي قبل التمهيد له وذكرت نتيجة لمقدمات مطوية ودلائل خفية ، فلا غرو أن ينكرها علي المسلمون ، قبل أن يعرفها الاوربيون ، الا من بعد نظره ، وغاص في أعماق المسألة فكره ، فلنترك المنكر في انكاره ، ولنساير المتفكر في أفكاره ، باحثين معه في مسير الأنام ، ومستقبل الاسلام ،

أين تذهب الأمم المتقدمة دائماً الى الأمام ، والى اي غاية ينتهي سير هؤلاء الاقوام ، وهل تزداد الشعوب المتقدمة تقدما ، وتزداد الشعوب المتخلفة تخلفاً ، وتزداد الأمم الحية حياة والمائتة موتاً ، حتى تكون الثانية غذاء للأولى كما قال اللورد سالسبوري سياسي انكلترا الكبير ؟

هل تبقى هذه المدنية الاوربية مادية حيوانية تبيح الفحشاء والمنكر ، وهل يجرف سيلها ما في بلاد الاسلام من بقايا العفة والصيانة والتراحم

www.alukah.net إحدى شبكة الألوكة

والتواصل حتى لا يبقى للمسلمين — وقد أخلقت فيهم اخلاق الصعران — من الصفات ما يستحقون به رحمة الله تعالى فيكونوا من الهالكين؟

هل تظل أوربا تواثب الدين كلما قلت حاجة السياسة اليه، وعدت العلوم الكونية عليه، وهل يكون حظ الاسلام عند المتعلمين الآتين، كحظ النصرانية عند المتعلمين الحاضرين والغابرين، يتسللون منه لواذا، ويمرقون منه زرافات وافذاذا،؟

هل تنبت المدنية المصرية في ارض الاسلام كما نبتت في المغرب وتنمو كما نمت وتثمر كما اثمرت سواء بسواء فيرجع المسلم القهقرى الى القرن السادس عشر الميلادي فيبتدئ منه؟ أم يكون اول سيره من نهاية القرن التاسع عشر فتكون مدنيته اسرع واعجل، ومعارفه أتم واكمل؟

اذا اراد الناظر ان يستنبط الجواب من سيرة المسلمين الذين ولوا وجوههم شطر المدنية، والتقوا هذا اللجاج من العلوم الاوربية، لا يسعه الا ان يقول: ان حال هذه المدنية ستكون (او هي كائنة منذ اليوم) دون حال الاوربيين وانهم سينبذون الإسلام باسرع مما نبذ اولئك النصرانية لان رؤساء الدين في النصرانية دولة لها في كل فرقة رئيس عام، وموظفون يسيرون بقانون ونظام، وهم مستقلون في ذلك عن الحكام، ولذلك تيسر لهم محاربة العلم زمناً طويلا ولما دالت للعلم الدولة وفاز بالنصر سالموه واستعانوا به على حفظ الدين حتى إن أزمة المدارس اصبحت في أيديهم فلم يتركوا مدرسة بدون كنيسة. ومن عجزوا عن إقناعه بقضايا الدين والزامه بالعمل به والدعوة اليه لا يعجزون عن إقناعه باحترامه والدفاع عنه باعتبار أنه رابطة للجنسية ولا يزال لهم من السلطان في الامم المسيحية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حتى اكفرهما بالدين كفرنسا ما يخيف الحكام منهم فيضطهدونهم. وليس للمسلمين مثل هذه الرياسة المنتظمة في فرقة من الفرق ولا في قطر من الاقطار وما عند الشيعة من المجتهدين ليس لهم من النظام والثروة ما للاكليروس عند النصارى ولا يرجى منهم مثلما كان من اولئك

ترقى رئيس جامعة الدين في مصر — وان لقبوه بشيخ الاسلام — لا يرجع اليه بشيء من أمور المسلمين ولا يستشار في كيفية تعليمهم وتربيتهم وليس له سلطان ما على اوقافهم الخيرية، ولا إشراف على اعمالهم الاجتماعية، وكذلك شيخ الاسلام الرسمي في دار السلطنة العثمانية لا وظيفة له الا تعيين القضاة والمفتين وعزلهم فهو موظف تحكم عليه السياسة ويعزله السلطان متى شاء. وليس له من الاستقلال في عمله مثلما لرؤساء الديانة النصرانية على ان عمله للحكومة لا للامة. واكبر من هذا كله ان رجال الدين الاسلامي لا يعهد اليهم بشيء يستقلون به دون الحكومة ولا خدمة المساجد فالحاكم السياسي هو الذي يجعل امام الصلاة اماماً وخطيب الجمعة أو الحج خطيباً فهو عند المسلمين رئيس ديني مستقل وان شرع لحكومته غير ما شرع الله، وصار يحكم بين المسلمين باسمه دون اسم الله: ! !

يقول الناظر: اذا كان حال الحكام المسلمين ما نرى من البعد عن الدين وصاروا كما قال الله تعالى «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله». واذا كان المسلمون على هذا راضين عنهم وخاضعين لهم مع علمهم بأنهم إياهم خاضعين للأجانب إما ظاهراً وباطنا وإما باطناً فقط. وإذا كان علماء الدين لا يرجع اليهم بشيء من سير الامة الاجتماعي والسياسي ولا هم ينتدبون لذلك من أنفسهم ويجعلون الامة مضطرة الى الرجوع اليهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والاعتماد في تربيتها عليهم . واذا كان المتعلمون على الطريقة الاوربية من المصريين والاتراك كثيراً ماينبذون الدين ظهريا، ويحسبونه شيئاً فريا، ويستحلون الخمور، ويستمرعون مرعى الفجور، ويفضلون الظلمة على النور، واذا كان هؤلاء المتعلمون هم الذين يتولون الاحكام، ويأخذون من الامة بكل زمام، واذا كان الناس على دين ملوكهم . والرعايا تبعاً لحكامهم . وناموس الاجتماع قاض بتقليد الناس لامرائهم وكبرائهم . أفلا يحق لنا ان نحكم بأن المسلمين سيكونون أسرع في ترك دينهم ممن سبقهم . فان كان الجهاد بين العلم والدين في اوربا مدة خمسة قرون قد أنجم ببقاء الدين في نموه وسلطانه في نفوذ وعلو، فلا يمضي على المسلمين قرن أو قرنان ، الا وهو في خبر كان ، واذا لاحظنا انه ليس للمسلمين جنسية ولا وطنية تقوم مقام الرابطة الدينية . وأن الذين أحبوا الامتياز فيهم والانتفاع منهم بدعوتهم الى « الوطنية » لم ينجحوا الان تأثير الدين لم يجعل لهم تأثيراً بل عدّهم الذين يفهمون حكم الاسلام وأسراره أعداءاً للاسلام وان كانت اسماؤهم اسماء المسلمين — قلنا ان نحكم بأن المسلمين سيفقدون بانحلال الرابطة الدينية كل استقلال ، ويكون مصيرهم الى الزوال ، فلا تفيدهم سعة البلاد ، ولا كثرة التعداد ، إذ لا كثرة مع فقد الرابط العام، كما لا يكون العقد بغير نظام .

هذا ما يقول الناظر بإحدى عينيه ، الى ما بين يديه ، واعني بإحدى العينين العين التي تنظر الى السوء دون الحسنى والى منافذ الخوف دون ابواب الرجاء . واعني بما بين اليدين الظاهر الشائع من حال الامم دون الخفي الذي لا يرى الا بالتحديق، وبنفوذ اشعة البصر من الحجاب الصفيق ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك ان كل انسان يدرك مما يشاهده ويمر به ما هو مستعد لإدراكه وينبو طرفه عما سواه وان كان واضحاً جلياً . فما بالك اذا كان مايعلو استعداد الناظر الخبير خفياً سره ، مجهولا عنده امره ،

إن سير الامم يشبه سير الظل لاتعد له الخطوات ، وانتقالها يحاكي انتقال النجوم السيارة لايدركه الاوقدفات ، والوليد يعذر اذا انكر سير الظل وجزم بأنه واقف لأنه لا يرى حركته . والجاهل بعلم الفلك يعذر اذا انكر بديئاً ان السيارات تدور من الغرب الى الشرق لانه يراها تغيب في جانب الغرب فهو يرى أثر حركة الارض لانه قريب يكور كل يوم ولا يلاحظ سبب تأخر ملايين الاميال التي تقطعها الارض فضلا عن غيرها من السيارات . كذلك يعذر الماجن اذا جاء يدرس سنن نبيا على الخلجات والوالخيجي اذا قال ان غاية مدنية أوربا [illegible] ولا غاية وراءها ويعذر كليل النظر اذا جاء مصر [illegible] ان ما كان يسمع اذا حكم على مستقبلها بعد ما كان يحكم به وهو بعد عنها ويأس من مستقبل الاسلام بالنسبة اليها

يعذر باليأس اذا دخل الازهر فرأى كعالم الخيال لا أثر لحال الناس في علمه ولا أثر لعلمه فيما عليه الناس في سيرهم ورأى أن الآثار القلمية التي تصدر عن مصر ليست منه في شيء ولا هي مرضية في الغالب عند اهله وانما جل علمهم مناقشة في أساليب المؤلفين وتدقيق في تحليل عبارات كتب مخصوصة اختاروا تدريسها . ثم رأى أن أهله غير محترمين عند طبقة من طبقات الأمة حتى ان الحوذي (سائق المركبة) ليسخر من المجاور في الازهر ومن العالم أيضاً إلا بعض الوجهاء الذين يحترمون

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لمناصبهم التي بقيت لهم او اثروتهم وقليل ماهم

ويعذر به إذا غادر الازهر الى المدارس فرأى فيها العناية باللغة الانكليزية، أضعاف العناية باللغة العربية، ورأى التلامذة يتلقون تاريخ الدين، عن المدرسين الاوربيين، ورأى علم الدين كالرسم الدارس، لا يحفل به المدرس ولا الدارس، وظن لذلك أن الانكليزية سوف تستبدل بالعربية

ويعذر به اذا شاهد الجريدة الهزلية البذيئة تطبع منها الوف من النسخ فتباع بالنقد يداً بيد ويتهافت عليها القارئون والقارئات من جميع الطبقات، يلغون بها مقهقهين ولا مثار للقهقهة والكركرة، ولا للإهلاس والهرنفة، ثم يرى قراء المجلات العلمية والتهذيبية على قلتهم يلوون ويتطلون ولا يخرج منهم حقها الانكد. ويعذر به اذا لاحظ حال تلامذة المدارس وبلا أخبارهم، واكتشف ضمائرهم وأسرارهم، فرأى اكثرهم مشغولين بالسفاسف فاسدي التربية قصيري الآمال لاهمّ لأحدهم الا أن يكون موظفاً في الحكومة لا ليرفع شأن أمته ولا ليخدم مصلحة بلاده ولكن ليكون رزقه مضموناً فلا يتكلف عناء الاعمال، وان كان وراءها نعيم الاستقلال، — ويعذر به إذا رأى الاغنياء والوجهاء لاهمّ لهم الا التمتع باللذات تنبسط أيديهم في الإسراف والمخيلة، وتنقبض عن الاعمال الجليلة

ويكون أعذر باليأس والقنوط اذا رفع بصره الى الحكام والامراء ورأى العوبة في أيدي الاجانب. وقد أخذتهم الفتن من كل جانب

هذا ما يراه الطارف القصير، والبصر الحسير، ويبني عليه حكمه الجائر

ولكن الاسلام يسير من وراء مدى طرفه سيراً طبيعياً، ويتقدم تقدماً تدريجياً، يسير بلغته وعلومه سير الظل الوارف وينتقل انتقال الكواكب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من الغرب الى الشرق في الباطن ومن الشرق الى الغرب في الظاهر بل كل واحد من الخافقين يسير نحو الاخر كلما خطا المسلم الى المدنية الاوربية المسرفة خطوة خطا مثلها الاوربي الى الاسلام أو أبعد منها أو أقرب ولا ندري وهما في مبدإ السير أيهما يكون الاسبق الى تحكيم الاسلام في هذه المدنية المسرفة المائلة ليرجعها الى الاعتدال الذي هو غاية الكمال الممكن ولكننا نعلم أن التلاقي هو نتيجة هذا التقرب المستمر وإن ذلك لواقع ماله من دافع .

* * *

ندع الكلام الان في الحركة الاسلامية العامة الى التقدم في كل قطر من الاقطار وتقرب الشعوب المسلمة بعضها الى بعض ونداء الشيعي والسني السلفي والمتمذهب الى الاصلاح وفي امتداد هذا النداء وتأثيره . وفي الجمعيات الاسلامية وفي ترقي لغة الدين (العربية) وتقدمها السريع من غير نصير من الحكومات الاسلامية أو الجمعيات العلمية -- ندع هذا لفرصة أخرى ونقول كلمة وجيزة في تقرب أوربا الى الاسلام بطبيعة العلم والعمران فهو الان هذا أغرب عند اكثر القارئين من الاول .

كانت أوربا في القرون الماضية تعتقد أن الاسلام دين وثني نشأ بالسلب والنهب والاعتداء وإباحة الفواحش والمنكرات وأن أهله قوم متوحشون يتقربون الى أصنامهم وأوثانهم بسفك الدماء وكانوا يبنون على هذا الاعتقاد أنه يجب على أوربا السعي باستعبادهم أو محوهم من بلادهم ليسلم سائر الناس من شرورهم . والشواهد على هذا كثيرة في كتبهم فعندهم كتب كثيرة مؤلفة في سوء حال الاسلام والمسلمين ألفها القسيسون والسياسيون لتنفير الشعوب الأوربية من العالم الاسلامي حتى أنهم ترجموا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القرآن الحكيم ترجمة مبدلة محرفة بل الفوا كتباً وضعية منها ترجمة للقرآن لو قرأ المسلم منها ما سموه سورة الفاتحة (وهي التي لا يجهلها مسلم) ولم يذكر له ان هذا ترجمة القرآن لما خطر في باله القرآن عند قراءتها مطلقاً لانه ليس فيها معنى جملة واحدة من جمل الفاتحة الشريفة. ولو شئت أن أسرد الشواهد من كلام الاوربيين في ذم الاسلام، ونبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، لاحتجت الى تأليف مستقل. وأهون وصف وصفه به الفيلسوف رنان الفرنسي [1] في كتابه (ابن رشد) قوله فيه «دين الخنازير أو القوم المنهمكين في الشهوات» ومن التحريض عليه تلك الكلمة الخبيثة التي جاءت في مقال للموسيو هانوتو وهي الاقتراح على فرنسا بان تهدم الكعبة المشرفة وتنقل قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى قصر اللوفر في باريس. ومن أراد الزيادة على ذلك فليقرأ كتاب (الاسلام) للكونت هنري دي كاستري الذي عربه احمد فتحي بك زغلول وطبع بمصر سنة ١٣١٥

هذه إشارة الى اعتقاد أوربا في الاسلام وقولها فيه وأما العمل فمازال الاوربيون يسومون المسلمين الخسف في كل بلاد لهم استولت عليها دول اوربا حتى خفت انكلترا ثم روسيا وطأتهما عنهم من عهد قريب فاذنت روسيا لهم بطبع المصاحف وكتب الدين وأعطتهم شيئاً من الحرية يتمتعون به الآن وكان ممن سعى بذلك لدى القيصر السيد جمال الدين الافغاني (رحمه الله تعالى). وهذه انكلترا التي كانت ولا تزال أبعد أمم اوربا

(١) هذا هو رنان وهذا كتابه الذي اعتمدت عليه مجلة الجامعة في ترجمة ابن رشد فيلسوف الاسلام العظيم. فهل يوثق بقول متعصب على الاسلام هذا التعصب المشوه في أمر مما يتعلق بالاسلام او تاريخ رجاله العظام؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وحكومتها عن التعصب وأقربهن الى التسامح كانت قاعدة الوظائف عندها في الهند أن تكون للانكليزي فالاوربي فالوثني فالمسلم فما كان يوظف مسلم الا اذا لم يقبل الوظيفة التي يتولاها أحد من هؤلاء

انقلبت الحال بعد هذا في الاعتقاد وفي القول والعمل وفي السياسة فقد أقبل العدد الكثير من الاوربيين على دراسة لغة القرآن وعلوم الإسلام فظهر لهم فضل هذا الدين في الجملة وألفوا كتباً كثيرة في فضله وصار اكثر الباحثين فيه يعتقدون بأن نبيَّه كان يدعو الى هذا الدين معتقداً بأنه ملْهَم من الله ومؤيد من لدنه سبحانه وتعالى وأن ما جاء به إصلاح عظيم للبشر عقائده نافعة وأخلاقه محمودة وشريعته عادلة . ثم إن منهم من اجتهد في كشف الشبهات التي يوردها علماؤهم على الاسلام وهي منه حقيقة كإباحة تعدد الزوجات بشرطها والرخصة في الطلاق والجهاد . وإن لبعضهم من الاجوبة عن هذه الامور المنتقدة في نظر قومهم أشد الانتقاد مالا تجد مثله لعالم من علماء المسلمين . وقد قام بعض القسيسين منهم يحاول الجمع بين الديانتين كاسحق طيلر الذي نشرنا بعض خطبه ومقالاته من قبل

لم يقف التحول عند حد اعتقاد بعض الباحثين وأقوال بعض المؤلفين بل قضت طبيعة الاجتماع بالعمل ببعض ذلك ومخالفة دينهم اليه لانه ظهر لهم أنه ضرورة لابد منها وذلك كالطلاق الذي صار مشروعا عندهم وشائعاً فيهم . وكذلك ظهرت فيهم بوادر الحاجة الى تعدد الزوجات حتى قام من الكاتبات من يدعو اليه في الجرائد (راجع مقالة « الرجال والنساء » ص ٤٨١ م ٤) وكأنك بهم وقد عادوا الى ذلك بعد حين وسيجدون في الإسلام الطريقة المثلى لحل المشكلة الاجتماعية الكبرى التي من آثارها الفوضوية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والاشتراكية وتعصب المال الذي تفاقم خطبه في هذه الأيام

ان ما كشفه العلم في الخلق والتكوين يوافق ما ينطق به القرآن. ان الايات الكونية التي يفصلها القرآن في اثبات الالوهية هي أقرب الى العلم الحاضر والفلسفة الحاضرة منها الى فلسفة اليونان. ان الوحي الذي يطالب القرآن بالايمان يمكن ان يقبله حتى العالم المادي من غير حاجة الى إبطال مسئلة ثابتة من مسائل علمه أو فلسفته . ان الاخلاق التي يدعو اليها القرآن هي أخلاق الاجتماع والعمران ، والعزة والسلطان ، ان أصول الاحكام والشرائع السياسية والمدنية والقضائية والحربية في الإسلام منطبقة على ما أثبتت فائدته للأمم الغربية وفيها مالم يصلوا اليه ، ولو عرفوه لعملوا عليه ، ان لكل داء من أدواء العمران وكل مرض من أمراض الاجتماع البشري دواءا شافياً في القرآن يعرف ذلك الراسخون في فقه القرآن من علماء الاجتماع . وان من هذه الادوية ما ينفع بدون الإيمان ومنها مالا يتم الا به كدواء الزكاة لأدواء المسألة الاجتماعية الكبرى كما قال تعالى « وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ، وان المدنية الكاملة التي تسير اليها الامم الراقية لا تكون الا بدين يجمع هذه الاصول الإلهية التي أجملناها الان ، وقد جاء في المنار بعض التفصيل لها وسنزيدها تفصيلا اذا أمهلنا الزمان

ان المسلمين الاولين أخذوا هذه الاصول بالايمان والتسليم فأسرعت اليهم بالسيادة والسعادة ولكن لم يلبث العلم بها أن ذهب وحل محله التقليد الأعشى فتركوا الأخذ بحكمة القرآن الى أقوال مقلديهم ولا غناء فيها عن كتاب الله تعالى فجهلوا في مجموعهم فقه هذه الاصول وزادوا عليها لإيضاحها ما أخفاها فساروا الى الوراء ، يخبطون خبط العشواء ، ولما تكمل مدنيتهم ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الا ترى مقلديهم في العقائد كيف تركوا في العلم الإلهي طريق القرآن، الى نظريات اليونان تأثراً بذلك الزمان، ألا ترى مقلديهم في السياسة والأحكام كيف تركوا أصول القرآن ومايوضحها من السنة واستبدوا بالعمل، الا ترى الأمة بين هؤلاء الرؤساء، من الملوك والعلماء، قد فقدت الاستقلال الاجتماعي وعوملت معاملة السوائم من الانعام؟ هذا هو سبب ضياع أثر تلك الاصول في سبيل الوصول الى المدنية الكاملة

الاوربيون يسيرون الآن في الاسلام من طريقه فقد بدأوا بالبحث في الآفاق فعرفوا من آيات الله فيها مالم تعرفه الامم من قبلهم وثنوا بالبحث في أنفسهم فاهتدوا الى كثير من سنن الله تعالى في قواها وفي عملها الحيوي والاجتماعي. ثم أنهم يقرنون العلم دائماً بالعمل بل لا علم عندهم إلا ما أيدته التجربة العملية، وكل ما علموه كان مقرباً من القرآن فما عليهم الا أن يفهموه وقد أنشأوا في هذه الامنين يدرسون لغته ويدرسونه بقوة واجتهاد وقام فيهم من أنفسهم دعاة اليه وقد كاد يأتي فيهم تأويل قوله تعالى «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق»

أما نحن المسلمين فاننا نعترف بالتقليد انه الحق ولكننا تركنا من عدة قرون البحث في الآفاق وفي أنفسنا الذي علق عليه كتابنا تبين الحق والآن توجه الكثيرون منا الى علم الآفاق وعلم النفس تقليداً للذين سبقونا فاذا ضللنا في هذا السير الجديد فاننا نقلدهم من بدايتهم فنترك الدين وآدابه وليس عندنا شيء يقوم مقامه كما كان عند من قبلنا فنكون من الهالكين ويكون السابقين الى الاسلام فلا يزالون يقبلون عليه ونحن مدبرون عنه الى أن يصلوا بجهدهم واجتهادهم الى الحق ونحن عثرة في طريقهم وعند ذلك نرجع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

باب الأسئلة والأجوبة

(تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم)

(١) مصطفى أفندي رشدي المورلي بالزقازيق : ماهي الحكمة في تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أكثر مما أباحه القرآن الشريف لسائر المؤمنين وهو الزوج بأربع فما دونها وتعين الواحدة عند خوف الخروج عن العدل ؟

(ج) إن الحكمة العامة في الزيادة على الواحدة في سن الكهولة والقيام بأعباء الرسالة والاشتغال بسياسة البشر ومدافعة المعتدين دون سن الشباب وزاحمة البلغاء السياسة الرشيدة . فأما خديجة وهي الزوج الأولى فالحكمة في اختيارها ورابطته الفطرة معروفة وليست من موضوع السؤال . وقد عقد بعد وفاتها على سودة بنت زمعة وكان توفي زوجها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية . والحكمة في اختيارها أنها من المؤمنات المهاجرات الهاجرات لأهلهن خوف الفتنة ولو عادت الى أهلها بعد وفاة زوجها (وكان ابن عمها) لعذبوها وفتنوها فكفلها عليه الصلاة والسلام وكافأها بهذه المنة العظمى . ثم بعد شهر عقد على عائشة بنت الصديق والحكمة في ذلك كالحكمة في الزوج بحفصة بنت عمر بعد وفاة زوجها خنيس بن حذافة ببدر وهي اكرام صاحبيه ووزيريه أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) واقرار عينهما بهذا الشرف العظيم .

وأما الزوج بزينب بنت جحش فالحكمة فيه تملو كل حكمة وهي إبطال تلك البدع الجاهلية التي كانت لاحقة ببدعة التبني كتحريم الزوج بزوجة المتبنى بعد موغير ذلك . وقد نشر في المجلد الثالث من المنار مقالتان في هذه المسئلة احداهما للأستاذ الامام فليراجعهما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السائل هناك . ويقرب من هذه الحكمة الحكمة في التزوج بجويرية وهي برة بنت الحارث سيد قومه بني المصطلق فقد كان المسلمون أسروا من قومها مئتي بيت بالنساء والذراري فأراد عليه الصلاة والسلام أن يعتق المسلمون هؤلاء الأسرى فتزوج بسيدتهم فقال الصحابة عليهم الراضون أصهار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي أسرهم واعتقوهم فأسلم بنو المصطلق لذلك أجمعون وصاروا عوناً للمسلمين بعد أن كانوا محاربين لهم وعوناً عليهم وكان لذلك أثر حسن في سائر العرب

وقبل ذلك تزوج عليه السلام بزينب بنت خزيمة بعد قتل زوجها عبد الله بن جحش بأحد وحكمته في ذلك ان هذه المرأة كانت من فضليات النساء في الجاهلية حتى كانوا يدعونها أم المساكين لبرها بهم وعنايتها بشأنهم فكافأها عليه التحية والسلام على فضائلها بعد مصابها بزوجها بذلك فلم يدعها أرملة تقاسي الذل الذي كانت تحير منه الناس وقد ماتت في حياته . وتزوج بعدها أم سلمة (واسمها هند) وكانت هي وزوجها (عبد الله أبو سلمة بن أسد بن عمة الرسول برة بنت عبد المطلب وأخوه من الرضاعة) أول من هاجر الى الحبشة وكانت تحب زوجها وتجله حتى إن أبا بكر وعمر خطباها بعد وفاته فلم تقبل . ولما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم «سلي الله ان يؤجرك في مصيبتك ويخلفك خيراً» قالت : ومن يكن خيراً من أبي سلمة : فمن هنا يعلم السائل وغيره مقدار مصاب هذه المرأة الفاضلة بزوجها وقد رأى عليه الصلاة والسلام أنه لا عزاء لها عنه الا به فخطبها فاعتذرت بأنها مسنة وام أيتام فأحسن عليه السلام الجواب — وما كان الا محسناً — وتزوج بها . وظاهر ان ذلك الزواج ليس لاجل التمتع المباح له وانما كان لفضلها الذي يعرفه المتأمل بجودة رايها يوم الحديبية وتعزيتها كما تقدم

واما زواجه بأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب فلعل حكمته لا تخفى على انسان عرف سيرتها الشخصية وعرف عداوة قومها في الجاهلية والإسلام لبني هاشم ورغبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تأليف قلوبهم . كانت رملة عند عبيد الله بن جحش وهاجرت معه الى الحبشة الهجرة الثانية فتنصر هناك وثبتت هي على الاسلام فانظر الى إسلام امرأة يكافح أبوها بقومه النبي ويتنصر زوجها وهي معه في هجرة معروف سببها . أمن الحكمة ان تضيع هذه المؤمنة الموقنة بين فتنتين ؟ أم من الحكمة ان يكفلها من تصالح له وهو أصلح لها ؟

كذلك تظهر الحكمة في زواج صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير وقد قتل أبوها مع بني قريظة وقتل زوجها يوم خيبر . وكان أخذها دحية الكلبي من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سبي خيبر فقال الصحابة يا رسول الله انها سيدة بني قريظة والنضير لا تصلح الا لك فاستحسن رأيهم وأبى ان تذل هذه السيدة بأن تكون أسيرة عند من تراه دونها فاصطفاها وأعتقها وتزوج بها ووصل سببه ببني اسرائيل وهو الذي كان ينزل الناس منازلهم

وآخر أزواجه ميمونة بنت الحارث الهلالية (وكان اسمها برّة فسماها ميمونة) والذي زوجها منه هو عمه العباس (رضي الله عنه) وكانت جعلت أمرها اليه بعد وفاة زوجها الثاني أبي رهم بن عبد العزى وهي خالة عبد الله بن عباس وخالد بن الوليد فلا أدري هل كانت الحكمة في زوجه بها تشعب قرابتها في بني هاشم وبني مخزوم أم غير ذلك

وجملة الحكمة في الجواب أنه صلى الله عليه وسلم راعى المصلحة في اختيار كل زوج من أزواجه (عليهن الرضوان) في التشريع والتأديب فجذب اليه كبار القبائل بمصاهرتهم وعلم أتباعه احترام النساء واكرام كرائمهن وقرر الاحكام بذلك وترك من بعده تسع أمهات للمؤمنين يعلمن نساءهم من الاحكام ما يليق بهنّ مما ينبغي أن يتعلمنه من النساء دون الرجال ولو ترك واحدة فقط لما كانت تغني في الأمة غناء التسع . ولو كان عليه السلام أراد بتعدد الزواج ما يريده الملوك والأمراء من التمتع بالحلال فقط لاختار حسان الأبكار على أولئك الثيبات المكتهلات كما قال لمن استشاره في التزوج بأرملة «هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك» هذا ما ظهر لنا في حكمة التعدد وان أسرار سيرته صلى الله عليه وآله وسلم أعلى من تحيط بها كلها أفكار مثلنا .

﴿ ترك الملوك والامراء فريضة الحج ﴾

(س ٢) ا — ع بالازهر: «من المعلوم أن الحج لبيت الله الحرام فريضة عينية على كل مسلم استطاع اليه سبيلا وبديهي ان أمراء المسلمين وحكامهم هم أقدر على الاستطاعة فلم لا يحجون وهل هناك مانع شرعي أو ما يوجب سقوطه عنهم سيما وقد مضى نحو الثلاثة قرون ولم نسمع بملك منهم حجّ أو اعتمر أفيدونا الجواب ولكم الاجر والثواب»

(ج) لا نعلم لاحد منهم عذراً في ترك هذا الركن الديني العظيم وقد كنا شددنا النكير في هذه المسئلة في الصفحة ٣٨٦ من منار السنة الأولى . واننا نرى العقلاء منا صاروا يلهجون بهذه المسئلة ويقولون ما بال بعض ملوكنا وأمرائنا كشاه العجم وخديو مصر يذهبون الى أوربا المرة بعد المرة ولا يذهبون الى مكة المكرمة فاذا كان السلطان عبد الحميد يخاف على نفسه من قومه الترك أو من الارمن (دون سواهم من رعيته) اذا خرج حاجا لأنه لا يتيسر له من الاحتياط في السفر ما يتيسر له في قصره . واذا كان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سلطان المغرب الاقصى وأمير الافغان يخافان على بلادهما من الفتن أو اقامة غيرهما في مكانهما اذا خرجا من بلادهما فما بال غيرهم ممن لا يخشى على نفسه ولا على بلاده لا يحج . نعم ان الحج مفروض على التراخي فلا يعترض على شخص بعينه أنه لم يحج لجواز أن يكون لم يؤخر الحج الا وهو عازم عليه ولكن يظهر من حال ملوكنا وامرائنا الحاضرين أن سيكونون كمن سبقهم من عدة قرون . ويعتقد المشتغلون بالسياسة أن السلطان عبد الحميد لا يرضيه أن يحج شاه العجم ولا أمير مصر وأنه يمنعهما اذا أرادا ذلك ما استطاع وكذلك سلطان مراكش لانه يخاف أن يعملوا في البلاد المقدسة عملا سياسياً كتحويل الخلافة الى أنفسهم فهذا كل ما نعلمه في اعتذار المعتذرين والله أعلم بالسرائر . أما الفوائد التي تكون من حج الامراء والسلاطين لانفسهم وللمسلمين فهي كبيرة جداً فان الاجتماع في تلك البقاع المقدسة هو خير سبيل في تعارفهم وتحالفهم على ما فيه مصلحة الملة والامة مع بقاء كل منهم في امارته او سلطنته . ونعيد ما قلناه في المنار من خمس سنين وهو انه لو كان لعواهل أوربا وقياصرتهم وملوكهم مثل هذا المجتمع العظيم لما تركوا الاختلاف اليه

(اختلاف الشريعة باختلاف الزمان والمكان)

(س ٣) م . ر . بمدرسة الحقوق بمصر : يقول أرباب الشرائع والقوانين إنه يجب في تحقيق عدالتها أن تكون موافقة لاخلاق الامم وعاداتهم وطبائعهم ودرجة تربيتهم واقاليمهم واحوالهم المعاشية والاقتصادية . فاذا كان الامر كذلك فلم لم نشاهد سوى قانون واحد لدى الامم الاسلامية (الشريعة الغراء) مع أنه يوجد اختلاف عظيم بين تلك البلاد في العادات والاخلاق والاقاليم ؟

(ج) ان علماء الحقوق والقوانين الوضعية انما يضعون قوانينهم لاهل السياسة وهم انما يهمهم من رعاياهم جباية الاموال والأمن من الخروج عليهم لاسيما اذا كانوا من غير جنسهم وما يساعد على ذلك من منع التعدي . فواضع القانون يحترم عادات كل قوم وان كانت ضارة كالسكر والزنا ويخص أحكامه بحفظ النظام فيها ومنع التعدي . واما الشريعة الالهية فاصلاح الاخلاق والعادات فيها مقصود بذاته واساس هذه الشريعة درء المفاسد وحفظ المصالح سواء كان ذلك في الافراد أو الجماعات وما بينهم من الروابط والصلات . وقد وضع الاسلام على هذا الاساس أصولا عامة للاحكام لا تختلف باختلاف الزمان والمكان كالمساواة في الحقوق وإقامة القسط « ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » . وكون رد المفاسد مقدما على جلب المصالح . وارتكاب أخف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الضررين. وجعل اليمين على المدعي وهي كل ما يتبين به الحق. وجعل الحاكم مستقلا مجتهداً يستنبط الاحكام مع فرض الاستشارة عليه. الى غير ذلك من الاصول العادلة وبعد هذا كله جعلت العرف محكماً كوضع الشرع ليراعى فيما يختلف من أحوال البلاد والعباد التي لا تخل بمقاصد الشريعة والدين في التهذيب وتقريب الشعوب بعضها من بعض لتكون الامم كلها أمة واحدة

لهذا الذي أجملناه لم تلزم الشريعة الاسلامية اتباعها بالتزام جزئيات الاحكام التي صدرت في عهد التشريع كما هي بدون مراعاة أساس درء المفاسد وحفظ المصالح وقد تقدمت الادلة على هذا في مقالات « محاورات المصلح والمقلد » فليراجعها السائل في أواخر المجلد الثالث وأوائل الرابع من المنار ومنها يعلم ان هذا الوضع من أسباب جعل الشريعة خاتمة الشرائع ونبيها صلى الله عليه و آله وسلم خاتم النبيين كما بيناه مراراً بالتوضيح

(طهارة السبيرتو او الكحول)

(س ٤) علي افندي حسني بكمرك السويس: قد الجأت حالة الوقت الى (السبيرتو) في إزالة ما على الملابس والطرابيش من الوسخ والدهن وقد تردد الناس في طهارته ونجاسته للشك في أصله فان كان نجساً فهل تطهر الطرابيش المنظفة به بحرارة النار عند كيها أو بكونه سريع الطيران كما يقال ؟

(ج) قد أثبتنا من قبل طهارة الكحول بأنواعه في المنار بالادلة بل هو أقوى المطهرات على انه سريع الطيران ولو لم يعرض الثوب على حرارة النار . والقول بنجاسته وتحيسه تشديد مبني على فلسفة غير صحيحة [راجع ص ٥٠٠ م ٤]

﴿ الاجتماع السابع لجمعية أم القرى ﴾

(في مكة المكرمة يوم الاربعاء الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦)

في صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية وقرئ الضبط السابق حسب القاعدة المرعية

قال (الاستاذ الرئيس) مخاطباً السيد الفراتي ان الجمعية لتنتظر منك فوق همتك في عقدها وقيامك بمهمتها التحريرية ان تفيدها ايضاً رأيك الذاتي في سبب الفتور المبحوث فيه وذلك بعد ان تقرر لها مجمل الآراء التي اوردها الاخوان الكرام اذ احطت بها علماً مكرراً بالسمع والكتابة والقراءة والمراجعة فأنت احق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لهافكر أه هذا والجمعية ترجو الفاضل الشامي والبليغ الاسكندري ان يشتركا في ضبط خطابك بأن يتعاقبا في تلقي الجمل الكلامية وكتابتها لانهما كباقي الاخوان لا يعرفان طريقة الاختصار الخطي المستعمل في مثل هذا المقام

نظر (الفاضل الشامي) الى رفيقه واستلمح منه القول ثم قال اننا مستعدان للتشرف بهذه الخدمة

قال (السيد الفراتي) حباً وطاعة وان كنت قصير الطَّوْل ، كليل القول ، قليل البضاعة . ثم انحرف عن المكتبة فقام مقامه عليها الفاضل الشامي والبليغ الاسكندري وما لبث ان شرع في كلامه فقال : يستفاد من مذاكرات جمعيتنا المباركة ان هذا الفتور المبحوث فيه ناشئ عن مجموع اسباب كثيرة مشتركة فيه لا عن سبب واحد أو أسباب قلائل تمكن مقاومتها بسهولة . وهذه الاسباب منها أصول ومنها فروع لها حكم الاصول وكلها ترجع الى ثلاثه أنواع وهي اسباب دينية واسباب سياسية واسباب اخلاقية . واني أقرأ عليكم خلاصتها من جدول الفهرست الذي استخرجته من مباحث الجمعية رامزاً للاصول منها بحرف (الالف) وللفروع منها بحرف (الفاء) . وهي

(النوع الاول الاسباب الدينية)

(١) تأثير عقيدة الجبر في أفكار الامة (ا) (٢) تأثير المزهدات في السعي والعمل وزينة الحياة (ف) (٣) تأثير فتن الجدل في عقائد الدين (ا) (٤) الاسترسال في التخالف والتفرق في الدين (ا) (٥) الذهول عن سماحة الدين وسهولة التدين به (ا) (٦) تشديد الفقهاء المتأخرين في الدين خلافاً للسلف (ا) (٧) تشويش افكار الامة بكثرة تخالف الآراء في فروع احكام الدين (ف) (٨) فقد امكان مطابقة القوة للعمل في الدين بسبب التخليط والتشديد (ف) (٩) ادخال العلماء المدلسين على الدين مقتبسات كتابية وخرافات وبدعا مضرة (ا) (١٠) تهوين غلاة الصوفية الدين وجعلهم اياه لهواً ولعباً (ف) (١١) افساد الدين بتفنن المداجين بمزيدات ومتروكات وتأويلات (ف) (١٢) ادخال المدلسين والمقابرية على العامة كثيراً من الاوهام (ا) (١٣) خلع المنجمين والرمالين والسحرة والمشعوذين قلوب المسلمين بالمرهبات (ف) (١٤) ايهام الدجالين والمداجين ان في الدين اموراً سرية وان العلم حجاب (ا) (١٥) اعتقاد منافاة العلوم الحكمية والعقلية للدين (ا) (١٦) تعلق الشرك الصريح أو الخفي الى عقائد العامة (ف) (١٧) تهاون العلماء العاملين في تأييد التوحيد (ف) (١٨)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاستسلام للتقليد وترك التبصر والاستهداء (ف) (١٩) التعصب للمذاهب والآراء المتأخرين وهجر النصوص ومسلك السلف (ف) (٢٠) الغفلة عن حكمة الجماعة والجمعة وجمعية الحج (ا) (٢١) العناد على نبذ الحرية الدينية جهلا بمزيتها (ف) (٢٢) التزام مالا يلزم لأجل الاستهداء بالكتاب والسنة (ف) (٢٣) تكليف المسلم نفسه مالا يكلفه به الله وتهاونه فيما هو مأمور به . (ف)

(النوع الثاني الأسباب السياسية)

(٢٤) السياسية المطلقة من السيطرة والمسئولية (ا) (٢٥) تفرق الامة الى عصبيات وأحزاب سياسية (ف) (٢٦) حرمان الامة من حرية القول والعمل وفقدانها الامن والامل . (ف) (٢٧) فقد العدل والتساوي في الحقوق بين طبقات الامة (ف) (٢٨) ميل الامراء طبعاً للعلماء المدلسين وجهلة المتصوفين (ف) (٢٩) حرمان العلماء العاملين وطلاب العلم من الرزق والتكريم (ا) (٣٠) اعتبار العلم عطية يحسن بها الامراء على الاخصاء وتفويض خدم الدين للجهلاء (ا) (٣١) قلب موضوع اخذ الاموال من الأغنياء واعطائها للفقراء (ا) (٣٢) تكليف الامراء القضاة والمفتين اموراً تهدم دينهم (ف) (٣٣) إبعاد الامراء النبلاء والاحرار وتقريبهم المتملقين والاشرار (ا) (٣٤) مراغمة الامراء السراة والهداة والتنكيل بهم (ف) (٣٥) فقد قوة الرأي العام بالحجر والتفريق (ف) (٣٦) حماقة أكثر الامراء وتمسكهم بالسياسيات الخرقاء (ف) (٣٧) إصرار اكثر الامراء على الاستبداد عناداً واستكباراً (ف) (٣٨) انغماس الامراء في الترف ودواعي الشهوات وبعدهم عن المفاخرة بغير الفخفخة والمال (ف) (٣٩) حصر الاهتمام السياسي بالجباية والجندية فقط (ا)

﴿ النوع الثالث الاسباب الاخلاقية ﴾

(٤٠) الاستغراق في الجهل والارتياح اليه (ا) (٤١) استيلاء اليأس من اللحاق بالفائزين في الدين والدنيا (ف) (٤٢) الإخلاد الى الخمول ترويحاً للنفس (ف) (٤٣) فقد التناصح وترك البغض في الله (ا) (٤٤) انحلال الروابط الدينية الاحتسابية (ا) (٤٥) فساد التعليم والوعظ والخطابة والارشاد (ف) (٤٦) فقد التربية الدينية والأخلاقية (ا) (٤٧) فقد قوة الجمعيات وثمرة دوام قيامها (ا) (٤٨) فقد القوة المالية الاشتراكية بسبب التهاون في الزكوة (ا) (٤٩) ترك الاعمال بسبب ضعف الآمال (ف) (٥٠) اهمال طلب الحقوق العامة جبناً وخوفاً من التحمل (ف)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(٥١) غلبة التخلق بالملق تزلفاً وصغاراً (ف) (٥٢) تفضيل الارتزاق بالجندية والخدم الأميرية على الصنائع (٥٣) توهم ان علم الدين قائم في المعاهد وفي كل ما سطّر في كتاب (ف) (٥٤) معاداة العلوم العالية ارتياحاً للجهالة والسفالة (ا) (٥٥) التباعد عن المكاشفات والمفاوضات في الشئون العامة (ا) (٥٦) الذهول عن تطرق الشرك وشئومه (ا)

ثم قال (السيد الفراتي) هذه هي خلاصات اسباب الفتور التي اوردها اخوان الجمعية وليس فيها مكررات كما يظن ٠ وإذكان للخلل الموجود في اصول ادارة الحكومات الاسلامية دخل مهم في توليد الفتور العام فاني اضيف الى الاسباب التي سبق البحث فيها من قبل الاخوان الكرام الاسباب الآتية اعددها من قبيل رؤس مسائل فقط إذ لو اردت تفصيلها وتشريحها لطال الامر ولخرجنا عن صدد محفلنا هذا

والاسباب التي سأذكرها هي اصول موارد الخلل في السياسة والادارة الجاريتين في المملكة العثمانية التي هي أعظم دولة يهم شأنها عامة المسلمين ٠ وقد جاءها اكثر هذا الخلل في الستين سنة الاخيرة أي بعد ان اندفعت لتنظيم امورها فعطلت اصولها القديمة ولم تحسن التقليد ولا الابداع فتشتت حالها ولا سيما في العشرين سنة الاخيرة التي ضاع فيها ثلثا المملكة وخرب الثلث الباقي واشرف على الضياع لفقد الرجال وصرف السلطان قوة سلطنته كلها في سبيل حفظ ذاته الشريفة وسبيل الاصرار على سياسة الانفراد

واما سائر الممالك والامارات الاسلامية فلا تخلو أيضاً من بعض هذه الاصول كما ان فيها أحوالا اخرى اضرّ واسرّ يطول بيانها واستقصاؤها والاسباب المراد الحاقها ملخصة ٠ هي ٠

﴿ الاسباب السياسية والادارية العثمانيتين ﴾

(٥٧) توحيد قوانين الادارة والعقوبات مع اختلاف طبائع اطراف المملكة واختلاف الاهالي في الاجناس والعادات (*) (ا) (٥٨) تنويع القوانين الحقوقية وتشويش القضاء في الاحوال المتماثلة (ا) (٥٩) التمسك بأصول الادارة المركزية مع بعد الاطراف عن العاصمة وعدم وقوف رؤساء الادارة في المركز على أحوال تلك الاطراف

(*) من أهم الضروريات ان يحصل كل قوم من أهالي تركيا على استقلال نوعي اداري يناسب عاداتهم وطبائع بلادهم كما هي الحالة في امارات المانيا وولايات أمريكا الشمالية وكما يفعله الانكليز في مستعمراتهم والروس في املاكهم من هامش الأصل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المتباعدة وخصائص سكانها (ف) (٦٠) التزام أصول عدم توجيه المسئولية على رؤساء الادارة والولاة عن أعمالهم مطلقاً (*)(ف) (٦١) تشويش الادارة بعدم الالتفات لتوحيد الاخلاق والمسالك في الوزراء والولاة والقواد مع اضطرار الدولة لاتخاذهم من جميع الأجناس والاقوام الموجودين في المملكة بقصد استرضاء الكل (ف) (٦٢) التزام المخالفة الجنسية في استخدام العمال بقصد تعسر تفاهم بين العمال والاهالي وتعذر الامتزاج بينهم لتأمن الادارة غائلة الاتفاق عليها (ف) (٦٣) التزام تفويض الامارات المخصصة عادة لبعض البيوت كامارة مكة وامارات العشائر الضخمة في الحجاز والعراق والعرب من لايحسن ادارتها لاجل ان يكون الامير منفوراً منه ممن ولي عليهم مكروهاً عندهم فلا يتفقون معه ضد الدولة (١) (٦٤) التزام تولية بعض المناصب المختصة ببعض الاصناف كالمشيخة الاسلامية والصدر عسكرية لئلا يكون منفوراً منه في صنفه العلماء أو الجند لاجل أن لا يتخذ الرئيس والمرؤس على أمرهم (*)(ف)(٦٥) التمييز الفاحش بين اجناس الرعية في الغنم والغرم (*) (٦٦) التساهل في انتخاب العمال والمأمورين والاكثار منهم بغير لزوم وانما يقصد به اعالة العشيرة والمحاسيب والمتملقين الملحين. (٦٧) التساهل في المكافأة والمجازاة بما يشئون الادارة حسنت أم ساءت كأن الملك ملك صاحب (٦٨) عدم الالتفات لرياسة الشؤون الدينية كوضع نظامات مصادمة للشرع بدون لزوم سياسي مهم أو مع لزوم ولكن بدون اعتناء بتفهيم الامة والاعتذار لها جلباً للقناعة والرضاء (٣) (٦٩) تضييع حرمة الشرع وقوة القوانين بالتزام عدم

(*) ولذلك كانت الحالة في الدولة قبل التنظيمات الخيرية خيراً منها بعدها حيث كان العمال مسؤولين لدى حضرة السلطان ثم أطلق يراحهم في عهدنا من كل مسؤلية الا في الافعال بل الاقوال بل الخواطر التي تتعلق بحقوق السلطنة هي من هامش الاصل

(*) هكذا تكون احتياطات الحكومات الماهرة (*) كهضم الدولة العثمانية حقوق العرب في المناصب والارتزاق من بيت المال عما لا نسبة فيه لأنها ميزة عليهم حال كونهم ثلثي رعيتها كلها من الحركس والشناق ولا أكراد والألبانيوط والروم والأرمن والجورت والبلغار والمكدونيا وأهل المناصب من الحجاز وغيرهم حتى بعض بيوت الخدمة العسكرية والمرتبة الدينية والعرفية واستثناء غير المسلمين من [illegible]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اتباعها وتنفيذها والإصرار على ان تكون الادارة نظامية اسما ارادية فعلا ٠(١)

(٧٠) التهاون في مجاراة عادات الاهالي وأخلاقهم ومصالحهم استجلاباً لمحبتهم القلبية فوق طاعتهم الظاهرية ٠ (٧١) الغفلة اوالتغافل عن مقتضيات الزمان ومباراة الجيران وترقية السكان بسبب عدم الاهتمام بالمستقبل (٧٢) الضغط على الأفكار المتنبهة بقصد منع نموها وسـموها واطلاعها على مجاري الأدارة محاسنها ومعايبها وان كان الضغط على النمو الطبيعي عبثاً محضاً ويتأتى منه الإغراء والتحفز وينتج عنه الحقد على الادارة

(٧٣) تميز الاسافل أصلا وأخلاقاً وعلما وتحكيمهم في الرقاب الحرة وتسليطهم على أصحاب المزايا وهذا التهاون بشأن ذوي الشئون يستلزم تسفل الادارة ٠(٧٤)ادارة بيت المال ادارة اطلاق بدون مراقبة وجزاف بدون موازنة واسراف بدون عتاب واتلاف بدون حساب حتى صارت المملكة مـدينة للاجانب بديون ثقيلة توفي بلاداً ورقاباً ودماءً وحقوقاً ٠ (٧٥) ادارة المصالح المهمة السياسية والملكية بدون استشارة الرعية ولاقبول مناقشة فيها وان كانت ادارة مشهودة المضرة في كل حركة وسكون ٠

(٧٦) ادارة الملك ادارة مداراة واسكات للمطلعين على معايبها حـذر من أن ينفثوا مافي الصدور فتعلم العامة حقائق الامور والعامة من اذا علموا قالوا واذا قالوا فعلوا وهناك الطامة الكبرى ٠(٧٧)ادارة السياسة الخارجية بالتزلف والإرضاء والمحاباة بالحقوق والرشوة والامتيازات والنقود ٠ تذلل الادارة ذلك للجيران بمقابلة تعاميهم عن المشاهد المؤلمة التخريبية وصبرهم على الروائح المنتنة الادارية ٠ ولولا تلك المشاهد والروائح لما وجد الجيران وسيلة للضغط مع ما ألقاه الله بينهم من العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ٠

ثم قال (السيد الفراتي) ان بعض هذه الاسباب التي ذكرتها هي أمراض قديمة ملازمة لإدارة الحكومة العثمانية منذ نشأتها أو منذ قرون وبعضها أمراض قتلية تزول بزوال محدثها وربما كان يمكن الصبر عليها لولا ان الخطر قرب والعياذ بالله من القلب كما أشار اليه الاستاذ الرئيس في خطابه الاول (٢)

---

٠ عاية المذاهب التي تستوجب ان لا تسقط الزكاة عن الدافعين وكاستخدام قضاة بالرسوم وبرواتب جزئية جداً ٠(١) تعطيل بعض احكام الشرع كالسرقة حرمته النظامية فمع كثرتها البالغة عشرات الوف قضايا لم يتفق الى الآن اجراء شيء منها بعض مايتعلق بسلب الاموال (٢) أشار حضرة الرئيس وهو الاستاذ المكي في خطابه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم قال ويلتحق بهذه الاسباب بعض اسباب شتى افصلها بعد تعدادها الحاقا بالخلاصات . وهي

﴿ أسباب شتى ﴾

(٧٨) عدم تطابق الاخلاق بين الرعية والرعاة (٧٩) الغرارة أي الغفلة عن ترتيب شئون الحياة (٨٠) الغرارة عن لزوم توزيع الاعمال والاوقات (٨١) الغرارة عن الإذعان للاتقان (٧٢) الغرارة عن موازنة القوة والاستعداد (٨٣) ترك الاعتناء بتعليم النساء (٨٤) عدم الالتفات للكفاءة في الزوجات (٨٥) الخور في الطبيعة أي سقوط الهمة (٨٦) الاعتزال في الحياة والتواكل

أما عدم التطابق في الاخلاق بين الرعاة والرعية فله شأن عظيم كما يظهر للمتأمل المدقق في تواريخ الامم من أن أعاظم الملوك الموفقين والقواد الفاتحين كالاسكندرين وعمر وصلاح الدين (رضى الله عنهما) وجنكيز والفاتح وشرلكان الالماني وبطرس الكبير وبونابرت لم يفوزوا في تلك العظائم الا بالعزائم الصادقة مع مصادقة تطابقهم مع رعاياهم وجيوشهم في الاخلاق والمشارب تطابقاً تاما بحيث كانوا رؤساً حقاً لتلك الاجسام لا كرأس جعل على جسم ثور أو بالعكس . وهذا التطابق وحده يجعل الأمة تعتبر رئيسها رأساً فتفانى دون حفظه ودون حكم نفسها بنفسها حيث لايكون لها في غير ذلك فلاح أبداً كما قال الحكيم المتنبي

انما الناس بالملوك وهل ... يفلح عرب ملوكها عجم

ومما لاخلاف فيه ان من أهم حكمة الحكومات أن تخلق بأخلاق الرعية وتجد معها في عوائدها ومشاربها ولو في العوائد غير المستحسنة في ذاتها . ولا أقل من أن تجاري الحكومة الاجنبية اخلاق الرعية ولو تكلفاً وقتيا الى أن تتوفق لاجتذابهم

الاول للحالة السيئة في الحجاز من فقد الأمن في بلد الله الامين . والجور الفظيع الذى يقع على أهل الحرمين وزوارهما من تنازع السلطات الثلاث الامارة والولاية والعسكرية وغير ذلك من الاحوال التي لاتطاق وصار يتشكى منها عامة الحجاج لاسيما الداخلين تحت سلطة الاجانب وهو السواد الأعظم من المسلمين ولا غرو ان هذه الحال تستدعيهم لان يدعوا حكومتهم للمداخلة في شؤن ادارة الحجاز لأجل حصولهم على الأمن والراحة وحينئذ لاقدر الله يتفانى العرب دون حفظ بيضة الاسلام كما تفانوا قبلا وحدهم في دفع الصليبيين عن المسجد الأقصى . اهمن هامش الاصل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الى لغتها فاخلاقها فجنسيتها كما فعل الامويون والعباسيون والموحدون وكما تهتم به الدول المستعمرة الافرنجية في هذا العهد وكما فعل جميع الاعاجم الذين قامت لهم دول في الاسلامية كآل بويه والسلجوقيين والايوبيين والغوريين والامراء الجراكسه وآل محمد علي فانهم ما لبثوا أن استعربوا وتخلقوا باخلاق العرب وامتزجوا بهم وصاروا جزءا منهم وكذلك المغول التتار صاروا فرساً وهنوداً فلم يشذ في هذا الباب غير المغول الاتراك أي العثمانيين فانهم بالعكس يفتخرون بمحافظتهم على غيريتهم وعاياهم لهم فلم يسعوا باستتراكهم كما انهم لم يقبلوا أن يستعربوا والمتأخرون منهم قبلوا أن يتفرنسوا أو يتألمنوا . ولا يعقل لذلك سبب غير شديد بغضهم للعرب كما يستدل عليه من أقوالهم التي تجري على ألسنتهم مجرى الامثال في حق العرب

ذلك كاطلاقهم على عرب الحجاز (ديانجي عرب) أي العرب الشجاعين واطلاقهم على المصريين (كور فلاح) بمعنى الفلاحين الاجلاف و(عرب جنكنه سى) أى نوّر العرب و(قبطى عرب) أي النور المصريين . وقولهم عن عرب سوريا (نه شاملك شكرى ونه عربك يوزى) أى (دع الشام وسكّرياتها ولاتر وجوه العرب) وتعبيرهم بلفظة (عرب) عن الرقيق وعن كل حيوان أسود وقولهم (بيس عرب) أي عرب قذر و (عرب عقلي) اي عقل عربي أي سفير و (عرب طبيعتي) أى ذوق عربي أي فاسد و (عرب چكه سى) أي حنك عربي أي كثير الهزر وقولهم ابونى بارسه م عرب اوله يم) أي ان فعلت هذا أكون من العرب وقولهم (نرده عرب نرده طنبوره) أي أين العرب من الطنبور .

هذا والعرب لا يقابلونهم على كل ذلك سوى بكلمتين الأولى هى قول العرب فيهم (ثلاث خانقن للجور والفساد القمل والترك والجراد) والكلمة الثانية تسميتهم بالاروام كناية عن الريبة في اسلامهم وسبب الريبة ان الاتراك لم يخدموا الاسلام بغير اقامة بعض جوامع لولا حظ نفوس ملوكهم بذكر أسمائهم على منابرها لم تقم . وانهم أتوا الاسلام بالطاعة العمياء للكبراء وبخشية الفلك أبي المصائب وباحترام مواقد النيران (أو حلقات) فزادوا بدعا بلاء في طين الخرافات

ثم قال (السيد) ما أي وجه الشبه بين الترك والروس لانه يعلم أني ما أفرضت قولا المصريون والشاميون في زماننا الحاضر حتى سمعت من بعضهم ما يضحكك . قال (الاستاذ الرئيس) ان هذا السيد الفرنسي خطيب قال وفارس جوال والاعجاب الذي أشار اليه هذا في صوت وليمة قيل به وقت الهدم عند ما ندان شاه الترك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

باب التربية والتعليم

الدرة الثامنة من هدية الدكتور راسم (١)

﴿ تعليم الاطفال اليونانية واللاتينية واقرانهم كتبهما ﴾

تناظرت مع هيلانة غير مرة في ضرورة تعليم « اميل » تينك اللغتين واقرائه ما ألف فيهما من الكتب وانت ذاكر لك من هذه المناظرات الا ملخصها فاقول :

الواجب أن يربى كل طفل تربية من ينبغي ان يكون من كبار الرجال فذلك هو الوسيلة التي يفضل بها عامة الناس ويمتاز عنهم في مستقبله ولهذا كان حقاً على المربي ان يعرف طبعه ويبحث في ضروب ميله ويختبر أنواع استعداده العقلي . ولما كان الميل والامتياز يحصلان في هذه الدنيا بكيفيات مختلفة ويتالان بطرق شتى كان أول فرض عليه ان يبحث في هذه الطرق عما يلائم طبعه ويناسب استعداده

فالذي أعيبه في طريقة المربين عندنا هو إغفال ما للناشئين من القوى وضروب الاستعداد الذهنية وعدم امتبارها في شيء من التربية . ذلك انك ترى بعض الناشئين مثلا قد ولد رحالة ليضرب في الارض ويجوب آفاقها وأخص حاجة له فيما خلق لأجلها هي معرفة اللغات حتى يتفاهم بها مع الأجانب في بلادهم فيبدأ المربون بتعليمه لغتين مهمتين التقطع التخاطب بهما من على وجه الأرض . وترى آخر خلق ميالاً الى معرفة علم القوى المحركة وقوانين التوازن (الميخانيقا) يلقون به في بحر من الكتب ما له من قرار وتجد ثالثاً أعد للتجارة ورابعاً سخر للزراعة لا يراعى ما لكل منهما من الميل الى ما أعد له ان يتبع في حقهما ما قضت به العادة وجرى عليه العرف وهو انه لا بد من مزيد الاشتهار بالعلم في هذه الدنيا من سجنه في المدرسة ثمان سنين . ثم يخرجون من مدارسهم اللاتينية واليونانية من يقضي عمرهم بأن لا يستعملوهما في حياتهم لانهم متى خرجوا من المدارس اشتغلوا بمصالحهم قل والله الحق ان يخطر ببالهم تصفح كتاب فرجيل (١) أو ديوان عمير (٢) والنظر في صحفهما البالية التي قضوا في معالجتها كثيراً من ساعات النصب والسآمة ولست أقصد بقولي هذا تجريد أي معرفة من

---

(١) معرب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

معارف العقل كائنة ما كانت من الفائدة مطلقاً ولكن لا حرج علي ان ارتبت في ان ما يخسره كثير من التلامذة من زمنهم في تعلم تينك اللغتين لا يساويه ما يعود عليهم من الفوائد بتعلمهما

أنا اعلم كل ما للمنتصر لهما من وجوه الاحتجاج على ضرورة تعليمهما فله ان يقول ان معرفتهما حاسة سادسة لنا ندرك بواسطتها دقائق آداب لغتنا وانه لا يسع احد من الناس إنكار ما كان لمطالعة الكتب القديمة المؤلفة بهما من التأثير المماثل في عقول الناشئين الذين نفذوا بامان معارف الاقدمين حق النفوذ ، ان مطالعة هذه الكتب تخلصنا من شواغل وقتنا المادية وتعارض عصرنا الذي سرت فيه النفس وتحط درجات التفاضل بينهم واشتغل اهله بالحقائق الثابتة دون غيرها كصور الاشياء وبالفوائد من مخترعات الخيال وتستر مواضع الضعف فينا بحجاب الجمال الخلاب بدون ان تغير من طبيعتنا شيئاً . ثم ان بُعد اهل تلك العصور عنا وما بينهم وبيننا في الاخلاق والعوائد مما يساعدنا ايضاً على ان نبصر من خلال كتبهم الشعرية سواء انتهى الكمال المطلوب

وفوق ذلك فان هذه الكتب حافلة بالاناشيد الوطنية التي كان من آثارها ما ظهر في عهد الجمهورية الجميل من احتقار الملوك وجر ذيل الخيلاء عليهم فلقد كانت نسمة هبت من رومة او من أثينا في إثره بغض السلطان المطلق تملو بنا في القرن الثامن عشر فان حكماء هذا القرن وزعماء الفتنة الفرنسية فيه قد استمدوا مما دعوه من الكتب المدرسية اصلح الصور لإيقاظ العقول وبث روح الحياة السياسية في النفوس وكان لخيالات الثائرين في ذلك الجهاد الذي قام في سبيل الحق من البلاء ما كان للاحياء انفسهم فلا تقل لابني غراكوس (٣) وبروتوس (٤) وبقية اولئك الذين قدموا بل هم احياء يعينوننا على كفاحنا ويعاضدوننا في جهادنا ويسمونا من اصولهم ويشهدوننا من اساهم ما يقوي عزيمتنا على السعي وراء الحرية التي هي غاية النفوس الابية

لا أنازع في ان معرفة اليونانية واللاتينية قد تكون من الرياضات النفسية المفيدة

---

(١) فرجيل هو شاعر لاتيني شهير ولد سنة ٧٠ ومات سنة ١٩ قبل المسيح

(٢) هومير هو الشعر الشعراء اليونان الاقدمين لا نعلم مكان ولادته ولا تاريخها كذا كتب المغرب والمعربون اسمه يونانيون يعربون « هوميروس » ويكتب بالقلم الافرنجي هكذا Homer-os ٩٣٠ غراكوس حاكم رومائي اشتهر في اسبانيا ورزق بولدين هما بالمراقبين وكانا من قضاة الشعب ٤٠ بروتوس أحد قتلة القيصر الروماني

ولكني أقول إن لرياضة النفس وتربية العقل طرقاً شتى وإن من الظلم الفاحش قصر معنى التعليم على فرع واحد من العلوم فقد يكون الانسان عالماً يشار اليه بالبنان وخطيباً باهر البيان وسياسياً حصيف الجنان (وفي أمريكا ما يشهد لصحة ذلك) وهو لم يقرأ في حياته كتب أرسطو «١» ولا ديموستين «٢» ولا شيشيرون «٣» باللغة التي ألفت بها . ذلك ان مراقبته بنفسه للامور ومعاملته للناس واختلاطه بهم ودراسته لآداب لغته واستعداده الفطري كثيراً ما تغنيه عن الزخارف المدرسية فرأيي هو ان الاحوال التي تختص بالطفل وما يكون فيه من القوى والملكات الذاتية هي الواجب التعويل عليها في تحديد الطريقة التي ينبغي سلوكها في تربيته فان طرق التعليم انما أوجدت للاحداث ولم توجد الاحداث لها

لما أعلم حق العلم ضروب استعداد «اميل» ولا حالة عقله حتى أحكم على اليق أنواع التعليم به وأشدها ملاءمة لطبعه والذي أتمناه له هو ان لا يكون بعيداً عن العلوم ولا عن آداب اللغة ولست أرى من وجوه الاعتراض على الجمع بين هذين النوعين من المعارف سوى ما تقتضيه تعلم اليونانية واللاتينية من الزمن فان انفاق سبع سنين أو ثمان من العمر في تحصيل لغتين مهملتين تحصيلاً في غاية النقص غالباً هو اسراف كبير في عصر لا يحصل الانسان فيه متوسط المعارف الضرورية إلا بانفاق معظم حياته وانني باحث الآن فيما اذا كانت اضاعة ذلك الزمن الطويل في تحصيلهما لازمة لطبيعة الصعوبات التي يصادفها المتعلم فيه أو انها ليست من لوازمها وان من الميسور التغيير فيها والتقليل منها

أول سبب فيما أرى لطول مدة تعلم هاتين اللغتين هو إفراط المعلمين في تعجيل تعليمهما للأطفال لانهم يبدأونهم به قبل ان يكونوا تعلموا أو راقبوا شيئاً بأنفسهم فتراهم لجهلهم كيفية صوغ الالفاظ وتركيب الاساليب التي هي قوالب المعاني لا يكادون يتمتمون بلغتهم نفسها مضبوطة ولحبسهم بين جدران المدرسة من نعومة أظفارهم اعتادوا اعتبارها سجناً تتعاقب عليه الاجيال الناشئة تكفيراً لسيئة جهل آبائهم الاولين فهم

واما قانون اتيقا فهو حفيد قانون القديم وهو ضابط روماني شهير كان من حزب بومباي وبعد ان شهد معه واقعة فرسالا انطلق الى أفريقا وقتل نفسه «١» أرسطو حكيم يوناني مشهور «٢» ديموستين أشهر خطيب يوناني أثار مقدونيا على فليبوس وألب أبناءها على الاسكندر «٣» شيسرون أشهر خطيب روماني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا يعرفون شيئاً من الكون وقد حالت المدرسة بينهم وبين المحابّ البيتية والجواذب الاهلية وهي التي كانت تحبب العمل اليهم وتشعر قلوبهم قدره فأصبحوا لا تصلهم حرارتها الا من بعيد جداً ففي أول عمل لهم يمرنون به قواهم الناشئة تفاجئهم الفاظ وحشية وصيغ نحوية وتراكيب مجهولة فيتصيدون اتفاقاً بأيديهم العسراء من محابرهم الكدراء ضروباً من مخالفة القياس وأنواعاً من ضعف التأليف تجري بها اقلامهم ، ولا تدركها افهامهم ، فَرُحْمَى لهم من حيارى ذاهلين لا ينفعهم تعاقب التمارين ولا تتابع الامثال فليس تكرار الاغلاط والخطئات الواحدة في تعلم لغة مجهولة هو الوسيلة إلى إصلاحها

انا أحب ان يرى ولدي قبل تعلم اللاتينية شيئاً من العالم وان ينفتق ذهنه باحتكاكه بالصناعة ودراسته تاريخ الموجودات فان كل واقعة روقبت تولد في نفس مراقبها لذة وتنمي فيه الحاجة الى المعرفة فاذا حصل له بكسبه بعض معان بينة صار بهذه الواسطة أحسن استعداداً لفهم ما يتلقاه عن غيره من المعاني ولو ظهرت في صيغ مبهمة من الالفاظ

ثم ان من اسباب طول المدة التي تقضى في تعلم اليونانية واللاتينية على ما أرى ان المربين يعلمونهما الاطفال قبل ان يطلعوهم على شيء من احوال الرومان واليونان والانسان لا يحسن تعلم لغة قوم الا في بلادهم ومن أجل ذلك سأهتم عند تعليمهما هاميل بان اجعل له من آثار اهلهما بلاداً يتعلمهما فيها. وفي هذا المقام تظهر فائدة انشاء معاهد التعليم التي من قبيل القصر البلوري نعم اني على يقين من ان مشاهدة ما يكون في مثل هذه المعاهد من التماثيل والصور ومثل المعابد والمباني الاثرية العامة لا تعين التلميذ على فهم شعر عمير وفرجيل ولكن اليونانية واللاتينية اذا اقترن تعليمهما بتعليم تاريخ قوميهما وما يشهد لهم من دلائل القدم القديم لا تبقيان لغتين مندثرتين اندثاراً تاماً كما لو علمتا مجردتين

ذلك ان لفنون الرسم من التأثير في نفوس الناشئين ما هو فوق المظنون بها كثيراً بسبب اجتلابها العقل في آثار المتمرين وسيرتها بالنفس في اعمال الماضين ولان سن الابتداع هو السن الذي يسهل فيه اندماج الواقع في شخص غيره لسبب سهل الادراك وهو ان معنى الاستدلال الذي لا يظهر له فعيلا في هذا العهد من الحياة فيكثر هذا النوع من المعاشرة مع اليونان والرومان فيبقى من آثارهم ما يمهد التلميذ بالتدريج باخلاقهم وعاداتهم وشؤونهم فيتمرن بهم ويتمرس بمراميهم بدقة الاستعلاء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في سلامين «١» ويشهد خلف بومباي «٢» واقعة فرسالا . ولا يسبقن الى خاطرك ان هذا لوجود الفكري فيما غير من الزمن ليس هو إلا وهماً محضاً فانه لا شيء مما كان في الماضي قد مات موتاً تاماً

ثم تجد طريقتنا في تعليم اللغتين اللتين نحن بصدد الكلام عنهما نفعاً فانها لا تزال عليها مسحة من تعليم القرون الوسطى وهي التي طبعها عليها القسيسون والرهبان اذ لا تزال العقبات تقوم في سبيل دراسة آثار الاقدمين دراسة صادقة واولها ما للدين المسيحي من الاوهام والوساوس في آلهتهم التي تراه على قهره إياها لا يزال يعتقد أنها مضرة حتى في انهزامها امامه فان رجال هذا الدين مع استئثارهم على توالي القرون باللغات القديمة واحتكارهم معرفتها كانوا يعنون في تعليمهم بإزهاق ذلك الروح الذي ألهم الصناع ما ظهر على أيديهم من تحف الصنائع وطرفها وكانت فنون الوثنيين وآداب لغاتهم من القنائم التي اهتم أولئك الرجال بحفظها غير انهم كانوا يحترسون كل الاحتراس من اظهار آخر ما اكتشفوه من أسرارها للأحداث وكان من مصلحتهم ان لا يزيلوا عن تلك الاسرار الا طرفاً من حجابها لانه كان لا بد لما يعيبه الخلف من آثار السلف ان يردهم يوماً ما الى عبادة الطبيعة وجمالها ومن أجل ذلك كان رؤساء الدين لا يفتأون يذكرون الناشئين بأن آلهة الوثنيين آلهة باطلة لا أصل لها الا الكبرياء والكذب وانه لا ينبغي النظر اليها الا من بعيد مع الاسترشاد في ذلك بهدي الدين المسيحي

أنا لا أحترس كل هذا الاحتراس في تعليم «اميل» تينك اللغتين واقرائه كتبهما لانه لا بد لمن يزاول دراسة أمر من الامور ان يكون له فيه شيء من الاعتقاد فما ضره لو انه أخلص في الاشتغال بهرقل (٤) وأعماله ومن ذا الذي ينقم منه ان قدم فرنانا للآلهات العفيفة (٥) ولمنروة (٦) الحكيمة الابية فان في كشف حقيقة الاشخاص الخرافيين الذين وجدوا في خيال الاقدمين وكانت حياتهم ملائمة كل الملائمة لخيال

«١» سلامين وتسمى الآن كولوري هي جزيرة في خليج أثينا «٢» بومباي قائد روماني شهير له غزوات كثيرة كان فيها ظافراً «٣» فرسالا مدينة باقليم تساليا القديمة من بلاد اليونانية هزم فيها قيصر الروم القائد بومباي (٤) هرقل بطل خرافي مشهور بأعماله العجيبة (٥) الالاهات العفيفة في أساطير اليونان هي الالاهات الفنون التسعة بنات المشترى (٦) منروة هي في الاساطير المذكورة الالهة الحكمة والفنون والحرب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اليافعين وازالة الوهم من عقول هؤلاء في شأنهم في ذلك تعجيلاً بزعزعة عقيدتهم في النوع الانساني ، ولا يظن ظان اني أقصد بما أقول ان أوقف « اميل » عند الوثنية فاني انما أريد بهذا القول انه لا بد لمن يريد النفوذ الى أسرار لغة قوم من اختلاس آلهتهم . اه

﴿ مقدمة كتاب الاسلام والنصرانية ﴾

« ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ »

ظهرت في العالم مَدَنِيَّاتٌ ثم خفيت ، وَدُرِسَتْ فيها العلوم والفنون ثم دَرَسَتْ ، وَصلحت أحوال الأناسيّ ثم فسدت ، وطلعت فيهم أقمار الهداية الدينية ثم خسفت ، ولم يزل الناس في قيام وقعود ، وهبوط وصعود ، والأمم في تلاش وفناء ، ونشوء وارتقاء ، حتى استعدّ المجموع في جملته للرقي العام ، فمنحه الله تعالى دين الاسلام ،

جاء الاسلام والعالم كله في تأخر من جميع الوجوه — من جهة الدين ، من جهة العلم ، من جهة المدنية ، من جهة السياسة ، فلم يمرّ قرن واحد حتى جدّد للعالم كله ديناً قيّماً ، وعلماً محكماً ، ومدنية سعيدة ، وسياسة رشيدة ، ونشر ذلك كله في مشارق الأرض ومغاربها بقوة الحق ، وسرعة البرق ، فتغير به وجه الأرض ونفخ في الانسان روحاً جديداً أعطاه من جراثيم الحياة ما لا يقبل الفناء ، ما دامت الأرض والسماء . (١)

ينبوع تفجر في أرض وفاض ماؤه على غيرها فأحيا الأرض بعد موتها ولكن القائمين على حراسته وتعاهده وضعوا فوقه أنقاضاً من خرائب جيرانهم ففيض الماء وما بقي منه صار مستنقعات تُجْوى ، لم يلبث بعد ما غاض أن فاض منه شيء في

(١) بينا ان اركان الاصلاح الاسلامي غير قابلة للهدم في مقالات متعددة نشرناها في مجلدات المنار كمقالات « الاصلاح الديني » والمقالة التي فاتحتها « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » ومقالات « سلطة مشيخة الطريق الروحية » وفيها الكلام على تقييد الاسلام السلطتين السياسية والمدنية وجعل الناس سواء ، وكل هذا في المجلد الأول ، وكمقالة « الجنسية والديانة الاسلامية » في المجلد الثاني ومقالة « اعادة مجد الاسلام » ومقالات « مدنية العرب » في المجلد الثالث وكمقالات الحكومة الاسلامية والقضاء في الاسلام في المجلد الرابع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مواضع أخرى فانتفع أهلها به وحافظوا عليه ولكن الأكثرين منهم لا يعرفون من أين جاءهم كما ان أكثر أهل الينبوع المنتسبين اليه بالاسم لا يعرفون أن ذلك الماء الذي تفجر في تلك المواضع فأنشأ أهلها به حدائق ذات بهجة هو من ماء ينبوعهم. وانهم لو أزالوا عنه تلك الانقاض لفاض ورجع اليهم خصبهم ونماؤهم كأحسن ما كان . لأنهم تعلموا من غيرهم كيف يستخدم الماء للاحياء

ذلك مثل المسلمين اليوم مع الأمم الغربية الحيّة الراقية . أخذ الغربيون من الاسلام كل أصول الاصلاح الذين هم فيه وهم يقولون: الاسلام عقبة في طريق كل اصلاح . يقولون للمسلمين: ان ماءنا صاف نقي يحيي البلاد والعباد وماءكم آسن أجاج أحدث مستنقعات أهلكت الحرث والنسل . فكيف يستوي الماآن ، وقد اختلف الأوان ، ؟ منهم من يقول هذا معتقداً . ومنهم من يقوله منتقداً ، ونحن ساكتون عنهم ، لأننا جاهلون بأنفسنا وبهم

ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيّب . ويظهر الحق من الباطل ، فتقوم الحجة على الجاهل بدينه ونفسه ، والمكابر لوجدانه وحسّه. لعلّهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا . فيرجعوا الى أصول دينهم وهو الأولى بهم والأحرى . فقد أعدهم بنوائب الزمان ، وصروف الحدثان ، لأن يعترفوا بذنبهم ، وينيبوا بالتدريج الى ربهم . اذا ظهر فيهم علماء ربانيون . وأطباء روحانيون ، يعرفونهم بحقيقة الداء ، ويصفون لهم الدواء . وما طلب الانسان بلسان استعداده شيئاً من مولاه ، الا تفضّل عليه به وأعطاه إياه (١)

هذا ما يجب الله للمسلمين حكماً من الاعلام . وامّا من أئمة الاسلام . يطب لدائهم ، ويجمع ما تفرق من آرائهم . وقد كتب في هذه الايام كتابة جليلة في العلم والمدنية ، بالنسبة الى الطاعنين النصرانية والاسلامية . رد فيها على أحد كتاب المسيحيين قوله ان المسيحية كانت أكثر تسامحاً مع العلم من الاسلام وان الاسلام أكثر اضطهاداً للعلم والفلسفة من النصرانية . وبيّن في آخر ما كتبه حال المسلمين السوءى وعدم موافقتها لما تقتضيه طبيعة دينهم فبرأ الاسلام وسلفه من الملام ولكنه لم يبرئ المسلمين المتأخرين بل دلهم على حقيقة دائهم وهداهم الى طريقة معالجته والخروج منه باذن الله تعالى . ولعمري انه أنذر فأعذر وبرئ من وعيد الكتمان « فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها »

(١) راجع مقالة « الاصلاح والاسعاد . على قدر الاستعداد » (ص ٦٨١ م ٤)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويلي هذا في المقدمة إلماع لشبهات ذلك الكاتب وقد عرفها القراء من قبل كما عرفوا الرد عليها فلا حاجة لذكرها. وقد تم طبع الكتاب وإصداره وثمنه ٥ قروش صحيحة وأجرة البريد في مصر ستة اعشار القرش (٦ مليمات) ويطلب من ادارة المنار بمصر

باب الاخبار والآراء

﴿ سعي في الوفاق الاسلامي الانكليزي ﴾

علم القراء من المقالة الافتتاحية في هذا الجزء أن من الفائدة الكبرى للاسلام والمسلمين ان يعرف أهل أوربا حقيقة الاسلام لانهم متى عرفوا حقيقته يعرفون حقيقته وفضله فيكونون نصراء له وتقل مقاومة حكامهم لأهله . ولا ريب ان من عرف منهم هذه الحقيقة يكون أقدر منا على تعريفهم إياها بصورة يقبلونها . كما لا يرتاب عاقل في أن معرفة الانكليز بالاسلام تكون أنفع للمسلمين من معرفة غيرهم من الاوربيين لان للانكليز سلطاناً على الشعوب الاسلامية ليس لغيرهم مثله أو ما يقاربه ولأنهم أقرب الأمم الأوربية الى أخلاق الاسلام وفضائله وأرجاهم لفائدة أهله

بعد التذكير بهذا نقول ان الحاج عبد الله براون الانكليزي الذي اهتدى الى الإسلام من عدة سنين وثبت عليه ومازج أهله توجهت نفسه الى القيام بخدمة صالحة لأهل دينه الذي اهتدى اليه ولأبناء جنسه الذين نبت فيهم وذلك بأن ينشئ جريدة انكليزية في مصر غرضها الأول التوفيق بين مصلحة الانكليز ومصلحة المسلمين في مصر وفي المستعمرات الانكليزية كالهند وغيرها . وقد سافر الى الهند بمساعدة أهل الغيرة والنجدة من المسلمين الذين يعرفون قيمة هذا السعي ليعرض رأيه على كبراء المسلمين هناك ويستمدهم في الإسعاد عليه . وقد بلغنا ان اللورد كرومر مرتاح الى هذا العمل ومساعد عليه ويرجى من كبراء عقلاء المسلمين في الهند أكثر مما يرجى من عقلائهم في مصر إسعاداً وإرفاداً .

ومما يدلنا على ان هذا العمل يرجى نجاحه أننا رأينا الحوادث قد أعدت النفوس من الفريقين له كما علم من المكاتبات الكثيرة التي دلت على توجه حكام الانكليز وكثير من ساسة المسلمين الى الحرية المليه الاستقلالية والتعليم النافع وقد عرف المؤيد [illegible] فعرفه المصريون كما عرفوا بالاختبار سوء مغبة ما جرى عليه أحداث السياسة عندهم من اللغط بسبب الانكليز وشتمهم وجعل حسناتهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سيئات فرجع المصريون الى رأي إخوانهم مسلمي الهند الذين جربوا قبلهم معاداة القوة ثم رجعوا فعرفوا فائدة المسالمة وهو أنه لا أنفع للمسلمين من التوفيق بين مصالحهم ومصالح الانكليز والعمل معهم بالصدق والإخلاص. وكل هذا من مقدمات مجد الاسلام المستقبل « والعاقبة للمتقين »

﴿ مابعد الاستشارة ﴾

استشرنا قراء المنار في نشر ما جاء في سجل جمعية ام القرى من معايب السياسة والادارة في دولتنا (ايدها الله تعالى) فكتب الينا بعضهم يجزم بوجوب نشر السجل كله ليعرف محبو الاطلاع اسباب الفتور السياسية كما عرفوا غيرها. ولم يكتب الينا احد قط باستحسان عدم النشر ولكن بعض اصدقائنا قالوا لنا شفاهاً انهم يرجحون عدم النشر لئلا ينفّر المحبّ الجاهل الراغب في بقائه على جهله من المنار ويظن أنه ينفّر عن الدولة العلية التي هي أعظم دولة إسلامية . ولكننا رأينا ان انتفاع الجمهور بعلم كل ما يقال عن الدولة أولى بأن يرجح على انتفاع ادارة المنار من رضاء محبي الجهل عنها . اما الانتفاع بما نشر فهو ان نشر مثل هذه الافكار هو الذي يقنع الترك والعرب وسائر المسلمين بأنه لا شيء اضرّ عليهم من حلّ الرابطة الإسلامية استغناءً بالروابط الجنسية . ويظهر ان مولانا السلطان عبد الحميد (وفقه الله تعالى) مقتنع بهذا المعنى كما اقتنع به من قبل اعظم سلفه (السلطان سليم ياوز) ولذلك تراه يعتمد في مهماته على ابناء العرب اكثر من غيرهم ولو كان قادراً على إزالة الجنسية التركية لأزالها فيما يظهر وقد رأينا كثيرين من عقلاء الاتراك مقتنعين بهذا الرأي اعظمهم المشير مختار باشا الغازي . ولولا انهم عرفوا مضرة الجنسية وعرفوا ان عقلاء العرب عرفوها لما اقتنعوا بها . ولا يجوز ان يحملنا ماورد في سجل الجمعية على بغض الترك فنزيد في ضرر الجنسية وإنما يجب ان نسعى في إزالة الجنسية والرجوع الى الرابطة الإسلامية وحدها. على ان ماذكر من بغض الترك واحتقارهم للعرب ليس عامّا فيهم وإنما هو شنشنة من افسدتهم السياسة الفاسدة وا كثرهم اخلاط في الأصل من الأجانب والعناصر الغريبة . وقد بلغنا ان الترك العربقيين في الاناطول يتبرّ كون بالعربيّ اذا رأوه ويجلّونه لأنه من بلاد النبي صلى الله عليه وسلم وان كان في شخصه وضيعاً سافلاً . ويكادون يعبدون من ينتسب الى آل البيت عليهم السلام

﴿ الجرائد والمجلات والمشتركون ﴾

يكتب الينا كثيرون طالبين الاشتراك بالمجلة بما دون القيمة المعروفة لانهم تلامذة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولأنهم فقراء ومنهم من يصف حاجته الى المنار وضيق ذات يده المانع من دفع جميع الاشتراك وصفاً غريباً ولا شك ان منهم من يستحق ان يسمح له بما يرضاه لانه صادق في استثقال دفع خمسين قرشاً من قرية واحدة لانه فقير اليد ومنهم من يحزم ان يساعد على اطاعة شحيحة الأنفس فاقد الفقس غني اليد وقد يشتبه هذا بذاك فان لم يشتبه فان الثاني يحيي على الاول

كنا جعلنا قيمة الاشتراك لطلاب العلوم ٤٠ قرشاً فرأينا العلماء وأساتذة المدارس واعظارها لا يدفعون الا ٤٠ قياساً على التلامذة والطلاب بجامع الاشتغال بالعلم ورأينا نفقة المشرعين وجميع من يخرج من المدارس الى الوظائف بأنواعها لا يدفعون الا ٤٠ عملا بقاعدة الاستصحاب الفقهية أو جرياً مع حركة الاستمرار الطبيعية وبها يضيع حق المنار بين القاعدة الفقهية والناموس الطبيعي بسوء التطبيق وإذا جعلنا الفقر سبباً للرضى بنصف الاشتراك وكان كل انسان هو المعرّف للفقر واذا كان اكثر الاغنياء الحقيقيين مع هذا لا يحفلون بالعلم والدين ولا يعتدون من يخدمهما فلا شك أنه لا يسلم لصاحب الجريدة خمسة في المئة من المشتركين يدفعون قيمة الاشتراك كاملة

واذا علم بعد هذا ان الغني والفقير والمعلم والتلميذ سواء في المطل أو الارجاء في دفع قيمة الاشتراك ولو الى آخر السنة وأن بعضهم يستحل أكل ثمن الجرائد والمجلات وإن محصّلين للجرائد منهم من يقتدي ببعض المشتركين باستحلال أكل ما يحصله كما يفعلون مراراً ومنهم من يشارك صاحب الجريدة بالخمس حتى كأن المال غنيمة والمحصّل هو السلطان أو بيت المال — فان العالم بذلك يخجل أن يطالب الاشتراك بنصف القيمة في مجلة يبلغ صفحات مجلدها في السنة نحو الف صفحة ويصرف صاحبها في تأليفه سنة كاملة

(المنار) أقل مجلات التطبب الشهيرة ثمناً فيها ما ثمنه في السنة جنيه ومنها ما ثمنه ٨٠ وما ثمنه ٧٠ وما ثمنه ٦٠ وبعض هذه المجلات أصغر من المنار حجماً وربما كان المفيد فيها أقل فلا نادراً نشتغل عدة ساعات في البحث عن حديث واحد لنعرف جميع مخرّجيه وما قيل فيه فالمنار بمجموع ما تقدم شرحه يعذرنا الذين طلبوا الاشتراك بنصف القيمة عن عدد محلوليهم والاعتذار لكل واحد منهم وقد كتبنا هذه السنة على الجميع يعلم المسلمون على المنار لا يسعهم ان يطلبوا منا لانقبل من احد الاشتراك باقل من خمسين قرشاً في السنة فيسعنا ويرجوا ومن نعلم باليقين انه يعسر عليه ان يوفر من نفقته في السنة خمسين قرشاً يجعلها ثمناً لمجلة يحب ان يقرأها ويرجى ان ينتفع بها فعلينا ارسال المنار اليه بلا ثمن